

الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة

إعداد

د. طه عابدين حمد

الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة

كلية الدعوة وأصول الدين

بجامعة أم القرى

الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة

ملخص البحث:

هدف هذا البحث هو بيان الوحدة الموضوعية لسورة الفاتحة، ولتحقيق ذلك الهدف قسم الباحث هذا البحث إلى مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، جاء الحديث في المبحث الأول عن: أسماء السورة وفضلها وزمان نزولها وعدد آياتها، وفي المبحث الثاني عن: المعنى العام للسورة، وفي المبحث الثالث عن: المناسبات بين كلمات وآيات السورة، وفي المبحث الرابع عن: الوحدة الموضوعية للسورة، وفي المبحث الخامس عن: تأملات في السورة وفق وحدتها الموضوعية، ثم ختمت الدراسة ببيان أهم النتائج التي خلص إليها الباحث، والتي من أبرزها: أهمية دراسة الوحدة الموضوعية للسورة لأبرز الخصائص الإعجازية في القرآن والوقف على بعض أسرارها، وأنه لم يرد من الأسماء والصفات والفضائل بمثل ما ذكر للفاتحة مما يدل على فضلها وشرفها، وأنه يترتب على تعلمها من الفضل ما لا يوجد في طوال الآيات والصور، وهي متضمنة لمجمل ما جاء تفصيله في القرآن الكريم، وهنالك تناسق وتناسب وتعانق عجيب بين كلمات وآيات سورة الفاتحة، وموضوع السورة الرئيسي هو: تحقيق العبودية الخالصة لله جل جلاله، وقد تضمنت السورة ثلاثة محاور خادمة للموضوع الرئيسي وهي التعريف بالمعبود الحق الله جل جلاله، والتعريف بكيفية عبادة الله، وبيان معرفة مآل من عبده ومن أعرض أو انحرف عن عبادته، وقد جاءت محاور سورة الفاتحة متعانقة مع محورها الرئيسي في صورة تمثل وحدة متكاملة لا تقبل الانفصال، بل متعانقة مع جميع سور القرآن الكريم.

ومن خلال النتائج السابقة أوصى الباحث بعدد من التوصيات من أهمها: أن تحظى سورة الفاتحة بمزيد عناية في التعلم والتعليم حتى ترسخ معانيها في قلوب الأمة ويكشف المزيد من مكنونها، وعقد ندوة عالمية للتأصيل في موضوع الوحدة الموضوعية بصورة تضبط مسارات البحث في هذا العلم، لأن الباحث عانى من ضعف المعالم التي تقوم عليها الدراسة وغيرها من توصيات.

Abstract:

The main objective of this research is the clarification of the thematic unity of surat "Al-fatihah". To achieve this goal, the researcher divides the whole study into an introduction, other five chapters and a conclusion. In the first section, the researcher writes about the names of surat "Al-fatihah", its virtues, time of descending, and the total number of its verses. In the second section, the researcher explains the general meaning of the whole surat. In the third section, the researcher clarifies the relationship between the individual words of surat "Al-fatihah" and its verses. In the fourth section, the researcher clarifies the thematic unity of surat Al-Fatihah. In the fifth section, there are speculations on the thematic unity of the surat "Al-fatihah". Finally, the researcher states the most significant findings of the study. Among these findings is the importance of studying the thematic unity of the surat Al-Fatihah in order to show the miraculous characteristics of this surat specifically and consequently the holy Quaran. Another important finding is the discovery of some valuable secrets of this central surat .Moreover, the researcher finds out that there is ,in fact, no one surat that has so many names ,qualities and attributes as that of surat Al-fatihah. However, such virtues reflect the uniqueness of this surat. Consequently, learning this surat has got more advantages than learning other longer ones. Furthermore, this suarat is the best summary of the main issues of the whole holy Quaran. In addition, there is surprising suitability and matching between the individual words and verses of this surat and its main theme which is actualizing pure faithfulness and true slavery to the oneness of almighty Allah. In fact, the entire plot in this surat comes in complete harmony and unique unity that will never accept any separation. Therefore, there is internal solidarity and coherence within the surat as well as between this surat and the whole suras of the whole holy Quran.

From the above mentioned results, the researcher recommended many recommendations, among them is that this great surat should get more care and especial emphasis in education, its great meaning must be well

implemented in the heart of the whole Islamic nation and that an international conference should be held for the foundation of the thematic unity basis in scientific way starting from this surat which has demonstrated this unity clearly. In fact, the researcher himself has suffered a lot from scarcity of sources that deal with thematic unity in other subjects.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي خصنا بكتابه المجيد الذي تعجز العقول أن تحيط بعلمه، والألسن أن تبلغ الكمال في ثناء وصفه، كتاب قيم ولم يجعل له عوجاً، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، والصلاة والسلام على النبي الأمين الذي أوتي سبعا من المثاني والقرآن العظيم، وعلى آله الطاهرين، وصحبه الصادقين، ومن سار على دربهم إلى يوم الدين.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١ / حاجة الناس اليوم الكبيرة إلى من يوصل القرآن إلى قلوبهم، ويبصرهم بعظيم أسرارهِ، وروعة إعجازه، فالقرآن نزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ليعيه كما قال تعالى: (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٩٧)؛ ولذا يكون أثره عظيماً في النفوس لما تعيه أسماعهم، ويبلغ قلوبهم، وتدرّك عقولهم عظمة شأنه، قال تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ). (ق: ٣٧)، ولن يصل إلى القلوب إلا بعد فهمه وتدبر معانيه، والغوص في أسرارهِ والوقوف مع حكمه وأحكامه، وذلك لأن الله عز وجل ربط الانتفاع بالقرآن من خلال تدبر آياته، قال تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ) (ص: ٢٩)، ودراسة نظم القرآن ووحدته الموضوعية من أعظم الأسباب المعينة على دقيق الفهم وعمق التدبر "فكل من غفل عن نظام الآيات أو تناولها تناولاً قاصراً عابراً لا يمكنه أن يستمتع بجمال القرآن، ولا يمكنه أن يدرك ميزته التي تخصه من بين سائر أنواع الكلام" (١).

٢ / دراسة الوحدة الموضوعية يعتبر نوعاً مهماً من أنواع التفسير الموضوعي الذي يقوم أساسه على الوحدة الموضوعية، سواء كانت هذه الوحدة للموضوعات التي تناولها القرآن، أو وحدة الموضوع الذي تعالجه السورة الواحدة، (٢) انطلاقاً من قوله تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) فهو لون له أصالته وعمقه كما له جدته وطرافته وحسنه، وإن كان لم يخض

بحره في صورته الشاملة إلا القليل من العلماء؛ وذلك لأنه ليس من الموضوعات التي هي سهلة المنال بل تحتاج إلى إطلاع واسع، وبصيرة نافذة، وبديهة حاضرة، وقبل ذلك وفوقه توفيق وإعانة من الله العليم الحكيم، وهو عمل شاق وممتع، شاق في تحقيق المطلوب؛ وذلك لأن المفسر لا يصل إلى مطلوبه إلا بعد أن يمارس أنواعا من التفسير، ويهضم معاني السورة، ويستوعب موضوعاتها بعد إطالة النظر في آيات وموضوعات السورة الواحدة. وإن كان المفسر لا يخوض في أثناء دراسة الوحدة الموضوعية في تفاصيل الأحكام، ولا دقائق اللغة، ولا تفاصيل أسباب النزول وغيرها. وذلك لأنه يقصد السورة في كلياتها ونظامها، لا من حيث الدلالة التفصيلية لآياتها، وممتع حيث يوقفك على دقائق المعاني وأسرار الترابط بين الآيات والكلمات والموضوعات ما لم يكن يخطر ببال من أول نظرة في التفسير بصورة تعجز العقول عن الإحاطة به، وذلك لأن المفسر يهتم في دراسة الوحدة الموضوعية بدراسة السورة كاملة في إطارها العام ثم يبحث عن موضوعها الرئيس، وكيف جاءت آيات السورة وموضوعاتها خادمة لهذا الموضوع بصورة متناسبة متعاقبة يتجلى فيها وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم الذي يظهر من خلال تألف موضوعات السورة وتناسبها وأنه جاء بهذا الترتيب من رب العالمين، كما يقول الفخر الرازي (ت: ٦٠٦ هـ): "إن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا أنه معجز بسبب نظم أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أنني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منبهين لهذه الأسرار"^(٣)، وقال الأصبهاني (ت: ٥٣٥٦) : "فإن القرآن معجز والركن الأبين الإعجاز يتعلق بالنظم والترتيب"^(٤)

٣/ إبراز الوحدة الموضوعية للسورة يعتبر إضافة حقيقية في التفسير على ما كتبه الأوائل، وإذا كان التفسير أخذ مراحل متنوعة في التطور من بيان الغريب إلى بيان المعاني وأوجه الإعراب إلى بيان التناسب والصلة بين الآيات والصور فإن ما انتهى إليه نظر العلماء في بيان الوحدة الموضوعية لسور القرآن وبيان الموضوع الرئيس الذي تدور حوله آيات وموضوعات السورة مع السعي لبيان الوحدة الموضوعية الجامعة لكل سور القرآن الذي يجمع آياته وسوره في وحدة موضوعية واحدة هو أمر طبيعي

في النظر والتأمل الطويل عبر السنين في كتاب الله؛ وذلك لأن كثيرا ممن فسروا القرآن وقفوا على شرح الألفاظ وبيان معاني الآيات، ومن تقدم منهم لم يتجاوز الربط بين الآيات والموضوعات في السورة الواحدة أو الربط بين آيات الموضوع الواحد، ومن تكلموا عن مقاصد السور لم يتجاوز حديثهم بيان هدف السورة وموضوعها العام أو الرئيسي في حين أن دراسة السورة في وحدتها الموضوعية يجعل المفسر يهتم بمعرفة المعاني وموضوع السورة الرئيس، وموضوعاتها الفرعية مع ربط أجزاء السورة بموضوعها الرئيس وهدفها العام في صورة متألقة متناسقة تظهر عظمة هذا الكتاب المجيد، فهو نوع مهم من أنواع التفسير يتناسب مع عصرنا الحاضر القائم على دقة النظر والاستكشاف، كما هو يلبي مطلباً مهماً للباحثين عن مكون هذا الكتاب المجيد ومعرفة المزيد من أوجه إعجازه، ويفتح المجال واسعا للباحثين للتدبر العميق في سور وآيات هذا الكتاب المجيد، وفي هذا يقول الدكتور محمد عبد الله دراز (ت: ١٩٥٨ م) موضحاً أن هذا النوع من التفسير هو معجزة من أهم المعجزات: "لعمري لئن كان للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبوءته الصادقة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات، لعمري إنه في ترتيب آية على هذا الوجه هو معجزة المعجزات"^(٥)، ولذا قصد الباحث خدمة هذا النوع من التفسير وإظهار بعض عجائب هذا الكتاب العظيم ودرره المكنوزة من خلال تأمله لأعظم سورة في القرآن الكريم.

٤/ عظمة هذه السورة وفضلها وكثرة تكرارها على لسان كل مؤمن، التي هي فاتحة كتابه، وأعظم سورة فيه، بل لم ينزل مثلها لا في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان، كما سوف يأتي الحديث عن فضلها، لما تضمنته من أصول الكتاب ومقاصده، يقول ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١ هـ): "اعلم أن هذه السورة - سورة الفاتحة - اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال وتضمنتها أكمل تضمن"^(٦)، ويقول الشيخ محمد علي الصابوني عن سورة الفاتحة: "وهي - على قصرها ووجازتها - قد حوت معاني القرآن العظيم، واشتملت على مقاصده الأساسية بالإجمال، فهي تناول أصول الدين

وفروعه، وتتناول العقيدة والعبادة والتشريع... إلى غير ما هنالك من مقاصد وأغراض وأهداف، فهي كالأم بالنسبة لبقية السور الكريمة ولهذا تسمى "بأم الكتاب" لأنها جمعت مقاصده الأساسية^(٧)

والآيات والسور في كتاب الله تتفاضل لا باعتبار المتكلم بها لأن المتكلم بها جميعا هو الله الواحد الأحد وإنما باعتبار المعاني والدلالات التي تدل عليها، فقصدت أن أعيش مع هذه السورة العظيمة أياما وشهورا قراءة وتدبرا لأقف على بعض حكمها وأسرارها التي تدخر بها، وتنكشف أنوارها من خلال جمال الترابط بين الكلمات والآيات والموضوعات، فهي باب ومفتاح لما تلاها من الآيات والسور.

٥/ هدف الباحث أن يؤسس منهجا للدراسة يصلح تطبيقه فيما عداها من السور؛ يجمع بين الكشف عن معاني عميقة وهدايات فريدة، وإظهار تناسق النظم، وروعة الإعجاز القرآني من خلال تلاحم الآيات والموضوعات، بما يحقق اليقين من خلال مشاهدة قوة البرهان والبيان وحسن النظم وتعانق الكلام.

٦/ أن فهم هذه السورة يوصلنا لتحقيق مرتبة الخشوع والإحساس في صلاتنا التي هي أعظم أسباب الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة؛ لأن فهم المعنى يؤدي إلى جماع القلب وحضوره عند تلاوتها، خاصة أن هذا التكرار لها في اليوم سبع عشرة مرة أو أزيد قد يفقدنا التدبر لمعانيها، وحضور قلوبنا عند تلاوتها، وأن العبد ليس له من صلاته إلا ما عقل.

ثانيا: الدراسات السابقة:

الحديث عن التناسب بين لفظة وأخرى وآية وآية، وسورة وسورة بوجه يقرب إلى الوحدة الموضوعية قديم ترجع جذوره إلى ما كتبه القاضي أبو بكر الباقلاني (ت: ٣٧٢هـ) عن بديع نظمه وعجيب تأليفه في آياته وسوره في كتابه "إعجاز القرآن"، كما اعتنى بمناسبات الآيات في السورة الواحدة من المفسرين الفخر الرازي في كتابه (مفاتيح الغيب)، والإمام أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ) في كتابه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم)، والألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) في كتابه "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، وابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) في كتابه "التحرير والتنوير"، والسيد محمد

رشيد رضا (ت: ١٩٣٥م) في تفسيره المنار، ومنهم من خصه بالدراسة والنظر والتأمل في كتب مستقلة، واعتبروا القرآن وحدة مترابطة، وأن هذه الوحدة تسري بين سوره آياته كالإمام الحافظ ابن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ) في كتابه "البرهان في تناسب سور القرآن"، والإمام برهان الدين ألبقاعي (ت: ٨٨٥هـ) في كتابيه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، و"مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، والسيوطي (ت: ٩١١هـ) في "تناسق الدرر في تناسب السور"، والشيخ عبد الحميد الفراهي (١٣٤٩هـ) في كتابيه "نظام القرآن" و"دلائل النظام" ويرى أن لكل سورة صورة مشخصة، وأن للسورة عمودا يجري إليه الكلام الذي حاول وضع لبنات لنظرية نظم القرآن، وفرق بين المناسبة والنظام فيقول: "إن التناسب إنما هو جزء من النظام فإن التناسب بين الآيات مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئا واحدا مستقلا بنفسه... والنظام أن تكون السورة كلاما واحدا "وبين أن النظام شئ زائد على المناسبة وترتيب الأجزاء، وكتب أبو الفضل عبد الله الغماري (ت: ١٤١٣هـ) "جواهر البيان في تناسب سور القرآن"، وأولى ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) وتلميذه ابن القيم اهتماما بموضوع السور من خلال كتاباتهم المتنوعة، فيما تحدث الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) عن مقاصد سور القرآن، ثم تعمقت الكتابات وظهر الكلام بصورة مباشرة عن الوحدة الموضوعية في سور القرآن الكريم في العصر الحديث من خلال عدد من الكتابات فمن هؤلاء: سيد قطب (ت: ١٩٦٦م) في ظلال القرآن الذي حاول أن يعرف بأهداف كل سورة ويحدد محاورها قبل أن يخوض في تفسيرها، وجاء الشيخ سعيد حوي (ت: ١٤٠٩هـ) في كتابه الأساس في التفسير وتكلم بصورة مباشرة عن موضوع كل سورة ومحاورها بل جعل ذلك هدفه من تفسيره، وكتب الشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز عن وحدة عضوية للسورة ونظام معنوي وبنية متماسكة له في كتابه النبأ العظيم مع ذكر بعض الأمثلة، ثم جاء الشيخ الدكتور محمد عناية الله أسد سبحاني فحاول أن يطبق خلاصة ما ذكره وما توصل إليه من خلال رسالته العلمية في درجة الماجستير والتي هي بعنوان "إمعان النظر في نظام الآيات والسور" في دراسة تطبيقية عميقة من خلال رسالة الدكتوراه التي هي بعنوان: "البرهان في نظام القرآن في الفاتحة والبقرة وآل عمران"، فقد جاءت الدراسة

حول سورة الفاتحة في الباب الأول تحت عنوان "نظام السورة" وكتاب الدكتور محمد بن محمود خوجة رسالته العلمية في الدكتوراه عن الوحدة القرآنية دراسة تحليلية وهي من الرسائل القيمة في الدراسات النظرية حول الوحدة الموضوعية ثم كتبت بعض الرسائل العلمية في بعض الجامعات عن الوحدة الموضوعية لبعض السور كدراسات تطبيقية، ولكن رغم تلك الجهود مازال هذا الموضوع في بداية الطريق، وتحتاج كثير من السور أن تفرد بدراسة خاصة وفق منهج منضبط محرر.

والكتابات في سورة الفاتحة أعظم من أن يحويها كتاب، ولم يغفل عن تناولها مفسر من السابقين أو اللاحقين، سواء أكانت تلك الكتابات جاءت ضمن مصنفات كتب التفسير أو كتب ورسائل خصصت لسورة الفاتحة، وقد وقفت على ما يزيد عن مائة وخمسين كتابا بين مخطوط ومطبوع ورد ذكر أغلبها ضمن فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم المعد من "مركز الدراسات القرآنية لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية"، وهذا وإن كان قد خدم هذا البحث وقوى ثماره ونتائجه لكنه جعل الوصول إلى تلك النتائج والثمار صعب المنال؛ وذلك لغزارة المادة العلمية وتشعب بعض مسائلها مما جعلني أطالع تلك الكتابات في بضعة أشهر، ولكن رغم تلك الكتابات الكثيرة لم أجد حسب علمي وإطلاعي. من أفرد هذا الموضوع بالدراسة تحت عنوان "الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة" سوى:

أ/ رسالة الدكتوراه محمد عناية الله أسد سبحاني في كتابه " البرهان في نظام القرآن في الفاتحة والبقرة وآل عمران" في القرآن وعلومه من جامعة الإمام بالرياض، والدراسة مع ما بذل فيها من جهد مقدر فهي قاصرة من جوانب، ومتباينة من جوانب أخرى عن موضوع دراستنا هذه، فهي لم تخصص لهذا الغرض، وقد جاءت الدراسة في ستة فصول بدون مباحث، الفصل الأول بعنوان: "على هامش السورة" تحدث عن فضلها ولم يذكر سوى حديثين، ولم يتعرض لأسمائها، ولا زمان نزولها ولا عدد آياتها وكل ذلك له ارتباط وثيق بموضوع الوحدة القرآنية، ثم أطل الحديث في الربط بين معاني الفاتحة وأفعال الصلاة وإظهار وجه التناسب بينهما وهذه لا علاقة لها بالموضوع، والفصل الثاني بعنوان: عمود السورة: الذي حدده بالعهد والميثاق في المستقبل الذي يؤكد المسلم لربه على العبادة الخالصة المطلقة والإنابة

الصادقة المطلقة (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)^(٨)، بصورة يرى الباحث أن الموضوع لم يحجر بدقة كما سوف يظهر ذلك من خلال البحث إن شاء الله، ولم يدعم قوله بشواهد للعلماء تسنده، ولم يبرهن له براهين ساطعة، والفصل الثالث جاء بعنوان: "الربط بين الآيات" فلم يرجع لمرجع واحد في التفسير، وإنما سجل اجتهاداته؛ ولذا جاء الفصل ضعيفا غير شاف، والفصل الرابع جاء بعنوان: "ارتباط السورة بالتي بعدها"، وهذا لا علاقة له بالموضوع المخصص لدراسة الوحدة الموضوعية في السورة، ومثله الفصل الخامس الذي جاء بعنوان: "موقع السورة من جملة القرآن"، والفصل السادس الذي جاء بعنوان: "المناسبة بين فاتحة الكتاب وخواتيمه من السور وهذا كذلك لا علاقة له بموضوع البحث، وقد تفرد بحثنا بما يلي:

بتحديد دقيق لأسماء السورة وذكر شامل لما ورد في فضلها، مع بيان المعنى العام للسورة بما يخدم موضوع البحث، ويسرد دقيقا للتناسب بين آيات السورة وكلماتها وفق ما ذكره العلماء، وبتحديد شاف لموضوعها الرئيس وموضوعاتها الفرعية مع بيان وجه الترابط بينهما، إضافة إلى تأملات دقيقة وفق وحدتها الموضوعية، مع الإعراض عن كل ما ليس له علاقة بموضوع البحث.

ب/ كتاب: "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم" إعداد لجنة من علماء التفسير وعلوم القرآن الكريم بإشراف الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، وقد جاء كلامهم عن سورة الفاتحة مختصرا في أحد عشر ورقة من صفحة (٧-١٨)، حيث تكلموا في البداية بين يدي السورة عن أسمائها فلم يستوعبوا ما ورد فيه الدليل مثل: "القرآن العظيم"، "والحمد" ولم يذكروا سبب التسمية الذي له تعلق بالدراسة، ثم تكلموا عن فضائل سورة الفاتحة واكتفوا بذكر القليل منها وهي "أنها أعظم سورة ولا مثيل لها في الكتب المنزلة، وأنها نور ورقية". ثم تكلموا عن موضوعات السورة وهي محاورها الأساسية بغير ما قررناه تماما، ثم تكلموا عن محور السورة حيث حددوه "ببيان طريق العبودية لله وحده، ولم يثبتوا على محور واحد بل قالوا: "كما يمكن أن يقال إن للفاتحة محاور، هي المحاور التي يدور عليها القرآن الكريم بسورة المكية والمدنية" ولم يدعموا قولهم بشواهد للعلماء أو تعليقات علمية واضحة، وما حددوه على أنه يمكن أن يكون محور السورة جعل في هذا البحث من ضمن محاورها، ثم ذكروا تفسيراً مجمولا للسورة جاء

في صفحة واحدة غابت فيه الكثير من المعاني، ثم ختموا بكلام عام حول الهدايات والحكم والآداب ليس له أي ربط بموضوع الوحدة الموضوعية.

فبعد وقوفي على هذه الدراسات السابقة رأيت ضرورة دراسة الموضوع بصورة أسأل الله أن يكتب لي التوفيق وأن تكون محققة لما هو مطلوب، وقد صبرت نفسي كثيرا وأنا أعلاج هذا الموضوع للوصول للغاية المطلوبة، وعانيت من دقة الموضوع وشدته ما الله به عليم، والحمد لله على توفيقه.

ثالثا: منهج البحث وأداته:

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وسلك فيه أسلوب الاستقراء والاستنباط، وكانت أدوات تحليل المحتوى للأدلة ذات الصلة بالموضوع، التي تم جمعها من خلال ما كتبه العلماء في هذا الموضوع من الكتابات القديمة والحديثة بغية الوصول إلى أهداف البحث.

رابعاً: منهج الباحث: للوصول إلى الوحدة الموضوعية قام الباحث بما يلي:

١. دراسة للسورة من حيث اسمها وفضلها وعدد آياتها وزمان نزولها لتعلقه بالدراسة.
٢. بيان المعنى العام للسورة وفق ضوابط التفسير دون الدخول في خلافاً وتفصيلات، وذلك لأن الوصول للوحدة الموضوعية يتطلب ذلك، كما يقول الإمام الشاطبي: "اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالإقتصار على بعضها غير مفيد للمقصود منها، كما أن الإقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها"^(٩) فالسورة "مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويتزامل بمجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل ببعض في القضية الواحدة، وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية"^(١٠).

٣. بيان وجه التناسب بين آيات وكلمات سورة الفاتحة وفق ما ذكره العلماء، وذلك لما في معرفة وجه التناسب بين الآيات من أهمية في معرفة الوحدة الموضوعية للسورة كما يقول البقاعي: "فعلم

مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال. وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها" (١١).

٤. بيان موضوعها الرئيس وموضوعاتها الفرعية وعلاقتها بالموضوع الرئيس. يقول البقاعي: "إن من عرف المراد من اسم السورة عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها عرف تناسب أيها وقصصها وجميع أجزائها... فإن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها ويستدل عليه فيها؛ فترتب المقدمات الدالة عليه على أكمل وجه وأبدع منهج" (١٢).

٥. تأملات عامه حول السورة وفق وحدتها الموضوعية وهذه خلاصات مهمة خرجت بها من الدراسة. وهذه الخطوات في الدراسة تتداخل فيما بينها لخدمة عنوان الدراسة وهو "الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة".

٦. لم أترجم للأعلام في هذا البحث، واكتفيت بذكر تاريخ الوفاة كما هو نهج بعض الباحثين، وبعض المجالات العلمية المحكمة، كمجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، وهو المناسب لمثل هذه البحوث التي يجذب فيها الاختصار، وما عداه التزمت بمنهج البحث بصورة دقيقة.

خامسا: هيكل البحث:

تضم هذه الدراسة مقدمه، وخمسة مباحث وخاتمة جاءت على النحو التالي:

المقدمة: شملت الحديث عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، إضافة للدراسات السابقة ومنهج الباحث.

المبحث الأول: أسماء سورة الفاتحة وفضلها وزمان نزولها وعدد آياتها.

المبحث الثاني: المعنى العام لسورة الفاتحة.

المبحث الثالث: المناسبات بين كلمات وآيات سورة الفاتحة.

المبحث الرابع: الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة.

المبحث الخامس: تأملات في سورة الفاتحة وفق وحدتها الموضوعية.

الخاتمة: شملت أهم النتائج والتوصيات.

وفي ختام المقدمة أقول: فإني أقدم بين يدي القارئ جهد المقل مع اعتراف في بداية هذا البحث ونهايته بالقصور والخلل ممن صفته الضعف والملل، ولا أدعي الاستيعاب والإحاطة في موضوع دون عقول العالمين الإحاطة به، ولكن حسبي أنني بذلت غاية ما استطيع في إصابة الحق وإظهاره، فإن أصبت فهذا من فضل الله وتوفيقه وحده سبحانه، وإن كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله سبحانه، مما زل به اللسان والبنان، أو داخله ذهول ونسيان، فإن كل مصنف مع التؤدة وإمعان النظر، وطول الفكر قل أن ينفك عن شيء من ذلك، فكيف بكاتب هذه الصفحات مع قلة علمه، وضيق وقته، وكثرة مشاغله، وترادف همومه لكن مما يثبت قدمي ويقوي عزمي أني استمد العون من القوى المتين، وأمد كف الضراعة إلى من يجيب المضطرين أن يسدد هذا العمل ويكتب له التوفيق والقبول، وأن ينفع به كاتبه وقارئة وجميع المسلمين، هذا والله الموفق والهادي عبده الضعيف إلى سواء السبيل، عليه توكلت وإليه أنيب.

المبحث الأول

أسماء سورة الفاتحة وفضلها وزمان نزولها وعدد آياتها

المطلب الأول: أسماء سورة الفاتحة

سورة الفاتحة ذكر العلماء لها أسماء كثيرة بل لم يذكر لسورة في القرآن من الأسماء مثل ما ذكر للفاتحة، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وفضله، وقد ذكر القرطبي (ت: ٦٧١هـ) للفاتحة اثني عشر اسماً، وأوصلها السيوطي في الإتقان إلى خمس وعشرين بين أسماء وصفات نقل كل ما اشتهر بين علماء السلف، ولكن بعض تلك الأسماء والألقاب اجتهادية ثبتت عن بعض السلف لا يسع المجال لذكرها (١٣)، ونحن هنا نكتفي من أسمائها بذكر ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي سبعة أسماء:

الاسم الأول: فاتحة الكتاب: وقد ثبت هذا الاسم بأدلة كثيرة منها:

ما جاء عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)^(١٤)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال: "هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: "أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)^(١٥).

وسميت "فاتحة الكتاب": لأنه تفتح قراءة القرآن بها لفظا، ويفتح بكتابتها المصاحف خطأ، ويفتح بها الصلوات تلاوة، فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة. وقيل سميت بذلك: "لأن الحمد فاتحة كل كلام"^(١٦). وقيل: "لأنها فاتحة أبواب المقاصد في الدنيا وأبواب الجنان في العقبى، وإما لأن انفتاح أبواب خزائن أسرار الكتاب بها؛ لأنها مفتاح كنوز لطائف الخطاب بانجلائها ينكشف جميع القرآن لأهل البيان؛ لأن من عرف معانيها يفتح بها أقفال المتشابهات ويقتبس بسناها أنوار الآيات"^(١٧)، فلو فهم المرء الفاتحة فسيفهم كل سور القرآن التي بعدها.

الاسم الثاني والثالث: أم الكتاب وأم القرآن: وقد ثبت هذا الاسم بأدلة كثيرة من السنة منها ما جاء عن عبادة بن الصامت عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا صلاة لمن لم يقرئ بأم القرآن)^(١٨)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج-ثلاثا-غير تمام)^(١٩).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقرؤهم فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ قالوا: إنكم لم تقرؤنا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا، فجعلوا لهم قطيعا من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرا، فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه فضحك وقال: (وما أدراك أنها رقية خذوها واضربوا لي بسهم)^(٢٠).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني^(٢١).

وسميت "بأم الكتاب وأم القرآن": لأنها أصل القرآن منها بدئ القرآن، وأم الشيء: أصله، تشبيهاً بالأم التي هي منشأ الولد، ويقال لمكة: أم القرى لأنها أصل البلاد دحيت الأرض من تحتها، وقيل: لأنها مقدمة وإمام لما يتلوها من السور يبدأ بكتابتها في المصحف وبقراءتها في الصلاة^(٢٢).

قال الطبري (ت: ٣١٠ هـ): "وسميت "أم القرآن" لتقدمها على سائر سور القرآن غيرها، وتأخر ما سواها خلفها في القراءة والكتابة، وذلك من معناها شبيه بمعنى فاتحة الكتاب، وإنما قيل لها-بكونها كذلك-أم القرآن، لتسمية العرب كل جامع أمراً-أو مقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه، هو لها إمام جامع-"أما فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ: "أم الرأس". وتسمى لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها للجيش-"أما"... وقد قيل إن مكة سميت "أم القرى"، لتقدمها أمام جميعها، وجمعها ما سواها. وقيل: إنما سميت بذلك، لأن الأرض دحيت منها فصارت لجميعها أما"^(٢٣). وقال البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ): "وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساساً. أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى والتعبد بأمره ونهيهِ وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والإطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء"^(٢٤).

الاسم الرابع: السبع المثاني: وقد ثبت هذا الاسم في الكتاب والسنة، قال تعالى ممتنا على رسوله الكريم: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) (الحجر: ٨٧)، وقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن المقصود بالسبع المثاني سورة الفاتحة^(٢٥)، خلافاً لمن قال أنها السبع الطوال التي لم تكن قد نزلت بعد لأن غالبها مدني، وقد جاءت السنة بذلك كما في حديث أبي سعيد المعلي قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي، فقال: (ألم يقل الله (اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) ثم قال لي: (لأعلمنك سورة هي أعظم السور في

القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: (الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)^(٢٦).

وسميت "السبع المثاني" لأنها سبع آيات بالإجماع، لا خلاف بين الجميع من القراء والعلماء في ذلك، وإنما اختلفوا في الآي التي صارت بها سبع آيات. فقال معظم أهل الكوفة: صارت سبع آيات ب (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وروى ذلك عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين. وقال آخرون: هي سبع آيات، وليس منهن (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ولكن السابعة "أنعمت عليهم". وذلك قول عظم قرأه أهل المدينة ومتقنيهم. وسميت مثاني: لأنها تثني قراءتها في كل رقعة من الصلاة تطوعا ومكتوبة، أي تكرر، وكذلك كان الحسن البصري يتأول ذلك^(٢٧)، قال ابن الأنباري (ت: ٥٥٧): "والمعنى آتينك السبع الآيات التي تثني في كل ركعة"^(٢٨)، وقال مجاهد سميت مثاني: "لأن الله استثنائها لهذه الأمة فذخرها لهم، فلم يعطها أمة قبلهم، ورواه سعيد ابن جبير عن ابن عباس بإسناد حسن قوي"^(٢٩)، كما قال عليه عليه السلام: "والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت"^(٣٠)، وقيل: "لاشتمالها على الثناء على الله تعالى"^(٣١).

الاسم الخامس: القرآن العظيم: وقد ثبت هذا الاسم بأدلة كثيرة من السنة منها:

ما جاء عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وقرأ عليه أبي أم القرآن فقال: "والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها، إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيت"، قوله صلى الله عليه وسلم عن الفاتحة: (الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم أوتيته)^(٣٢).

وسميت: "القرآن العظيم": لأنها أعظم سورة فيه، ولاشتمالها على مقاصده الأساسية، قال القرطبي: "سميت بذلك لتضمنها جميع علوم القرآن؛ وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله عز وجل بأوصاف كماله وجلاله، وعلى الأمر بالعبادات والإخلاص فيها والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء

منها إلا بإعانتة تعالى، وعلى الابتغال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم وكفاية أحوال الناكثين وعلى بيانه عاقبة الجاحدين^(٣٣). فهي متضمنة معاني القرآن الكريم.

الاسم السادس: سورة الحمد: وقد ثبت هذا الاسم فيما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا قرأتم الحمد لله فاقروا (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) إنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني و(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) إحداها^(٣٤)، وحمل كثير من الناس حديث: (كان يفتتح الصلاة ب (الحمد لله رب العالمين) على أنه أريد ذكر اسم السورة.

وسميت: "بسورة الحمد": لأنه ذكر لفظ الحمد في أولها، والحمد فاتحة كل كلام، وهي مع أربع سور بدأت بالحمد هي: "الأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر" ولكن إذا أطلق لفظ سورة الحمد انصرف ذهن لسورة الفاتحة لأنه صار علم عليها بالغلبة^(٣٥)، ولأن الثناء على الله سبحانه في هذه السورة هو المقصود الأعظم من سائر معانيها، وقد استوعب شطرها، فهو الغالب عليها، فسميت بما غلب عليها، بخلاف غيرها^(٣٦).

الاسم السابع: سورة الصلاة: وقد ثبت هذا الاسم فيما جاء في الحديث الصحيح عم النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدني ما سأل فإذا قال العبد (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). قال الله تعالى حمدي عبدي وإذا قال (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ). قال الله تعالى أثني علي عبدي. وإذا قال: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قال: مجدي عبدي-وقال مرة فوض إلي عبدي- فإذا قال: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قال: هذا بيني وبين عبد ولعبدني ما سأل. فإذا قال: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) قال: هذا لعبدي ولعبدني ما سأل^(٣٧). والمراد بالصلاة هنا سورة الفاتحة قال المرسى: "لأنها من لوازمها فهو من باب تسمية الشيء باسم لازمه"^(٣٨).

قال النووي (ت: ٦٧٧هـ): "قال العلماء: المراد بالصلاة هنا الفاتحة سميت بذلك لأنها لا تصح إلا بها كقوله صلى الله عليه وسلم: "الحج عرفة" ففيه دليل على وجوبها بعينها في الصلاة، قال العلماء:

والمراد قسمتها من جهة المعنى لأن نصفها الأول تحميد لله تعالى وتمجيد وثناء عليه وتفويض إليه، والنصف الثاني سؤال وطلب وتضرع وافتقار^(٣٩).

وسميت: "بسورة الصلاة": لوجوب قراءتها فيها، ولتوقف الصلاة عليها، ولا تصح إلا بها، وذلك يدل على أن قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة^(٤٠).

ولما كانت سورة الفاتحة هي لب القرآن وخلاصته ناسب أن تسمى بفاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، ولما كان الحمد لله هو أعظم ثناء عليه وأحق ما قال العبد افتتح به هذه السورة العظيمة وسميت به، ولما كانت الصلاة أعظم الشعائر التعبدية سميت الفاتحة بها، رفعا لشأن الصلاة وبياناً لفضل الفاتحة، ولما كانت هي أعظم ما يكرر وأكثره فضلاً سميت بالسبع المثاني، فهي أسماء تدل على مقاصد عظيمة لهذه السورة الكريمة، بل هذه الأسماء هي مفاتيح لمضمونها الذي جاء القرآن الكريم لبيانها.

المطلب الثاني: فضائل سورة الفاتحة

هذه السورة العظيمة لها فضائل كثيرة، لم يثبت في فضائل شيء من السور مثل ما ثبت في فضلها، فهي أعظم سورة في القرآن الكريم، وهي ركن في الصلاة التي هي أعظم العبادات بعد الشهادتين، وهي رقية إذا قرئت على المريض شفي بإذن الله، وهي قد جمعت معاني القرآن الكريم في التوحيد والأحكام والجزاء، قال القرطبي: "وفي الفاتحة من الصفات ما ليس لغيرها حتى قيل: إن جميع القرآن فيها. وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن. ومن شرفها أن الله سبحانه قسمها بينه وبين عبده ولا تصح القرية إلا بها ولا يلحق عمل بثوابها وبهذا المعنى صارت أم القرآن العظيم^(٤١)، وقد ورد في فضلها أدلة كثيرة تدل على مكانتها وتقدمها منها:

الفضيلة الأولى: أن الله تعالى أمتن بها على رسوله صلى الله عليه وسلم ووعد بإعطائه ما احتوت عليه، وبشر بنورها وفضلها ملك خاص لم ينزل قبل ذلك إلى الأرض، وفتح لها باب من السماء لم يفتح من قبل ذلك:

قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) (الحجر: ٨٧). والمراد بالسبع المثاني هنا: سورة الفاتحة بنص حديث البخاري المتقدم الذي فيه: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هي: السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الذي أوتيته). قال الشنقيطي (ت: ١٣٩٣ هـ): فهذا النص صحيح من النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد بالسبع المثاني والقرآن العظيم: فاتحه الكتاب، وبه تعلم أن قول من قال أنها السبع الطوال غير صحيح، إذ لا كلام لأحد معه صلى الله عليه وسلم، وما يدل على عدم صحة ذلك القول: أن آية الحجر هذه مكية، وأن السبع الطوال ما أنزلت إلا بالمدينة، والعلم عند الله تعالى (٤٢) وهذا يدل على أن هذه السورة احتوت أجل وأعظم النعم عن كل ما سواها؛ ولذا بشر النبي صلى الله عليه وسلم بعظم فضلها، كما جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: (أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ أَوْتَيْتَهُمَا، لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيَتْهُ) (٤٣).

الفضيلة الثانية: أنها أعظم سورة في القرآن: عن أبي سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله {اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} ثم قال لى: (لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته} (٤٤) وقال ابن حجر (ت: ٥٨٥٢): والمراد بالعظم عظم القدر بالثواب المرتب على

قراءتها وإن كان غيرها أطول منها؛ وذلك لما اشتملت عليه من المعاني المناسبة لذلك^(٤٥) وقال القرطبي: "والتفصيل إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها لا من حيث الصفة وهذا هو الحق"، وأن ما تضمنه قوله تعالى (وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (البقرة: ١٦٣)، وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ليس. موجودا مثلاً في (تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ) وما كان مثلها^(٤٦)

الفضيلة الثالثة: انه لم ينزل في القرآن، ولا في التوراة ولا في الإنجيل، مثلها: كما جاء عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وَقَرَأَ عَلَيْهِ أَبِي أُمُّ الْقُرْآنَ فَقَالَ "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا إِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيَ"^(٤٧). قال ابن العربي (ت: ٥٤٣ هـ): بقوله: "ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها" وسكت عن سائر الكتب كالصحف المنزلة والزبور وغيرها لأن هذه المذكورة أفضلها وإذا كان الشيء أفضل الأفاضل صار أفضل الكل. كقولك: زيد أفضل العلماء فهو أفضل الناس^(٤٨).

الفضيلة الرابعة: أنها متضمنة لمقاصد الكتب المنزلة من السماء كلها: فذكر ابن أبي حاتم بإسناده عن الحسن قال: أنزل الله سبحانه أربعمئة كتاب وأربعة كتب، جمعها في أربعة كتب: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، وجمع الأربعة في القرآن، وجمع القرآن في المفصل وجمع المفصل في الفاتحة وجمع علم الفاتحة في (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ). ويشهد لهذا تسميتها: أم الكتاب، وأم الشيء: أضله ومجتمعه^(٤٩)، وسوف يأتي الحديث عن بيان اشتمال هذه السورة على جميع مقاصد الكتب المنزلة إن شاء الله.

الفضيلة الخامسة: أن هذه السورة مختصة بمناجاة الرب تعالى: ولهذا اختصت الصلاة بها، فإن المصلي يناجي ربه، وإنما يناجي العبد ربه بأفضل الكلام وأشرفه، وهي مقسومة بين العبد والرب نصفين، فنصفها الأول ثناء للرب عز وجل، والرب تعالى يسمع مناجاة العبد له، ويرد على المناجي جوابه ويسمع دعاء العبد بعد الثناء ويحييه إلى سؤاله، وهذه الخصوصية ليست لغيرها من السور، كما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا

قَالَ الْعَبْدُ: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمْدِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ: { الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَتْنِي عَلَى عَبْدِي وَإِذَا قَالَ: { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } قَالَ: مَجْدِي عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً: فَوُضَّ إِلَيَّ عَبْدِي -فَإِذَا قَالَ: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ^(٥٠).

الفضيلة السادسة: أن قراءة الفاتحة يحصل بها كمال الصلاة وقبولها: وبدونها تكون الصلاة خادجا ناقصة غير تمام، بل لا تكون الصلاة مجزية مقبولة بدون تلاوتها، فإذا تليت في الصلاة صارت الصلاة تامة مجزية، فعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن)^(٥١) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَفْرَأْ فِيهَا بِأَمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خَدَاجٌ -ثَلَاثًا- غَيْرُ تَمَامٍ)^(٥٢) . يقول سيد قطب: "إن في هذه السورة من كليات العقيدة الإسلامية، وكليات التصور الإسلامي، وكليات المشاعر والتوجيهات، ما يشير إلى طرف من حكمة اختيارها للتكرار في كل ركعة، وحكمة بطلان كل صلاة لا تذكر فيها^(٥٣). الفضيلة السابعة: أن سورة الفاتحة شفاء من كل داء: فهي شفاء من الأمراض القلبية المعنوية، وشفاء من الأسقام البدنية الحسية؛ فالقرآن كله شفاء، قال تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (الإسراء: ٨٢) والفاتحة أعظم سورة فيه، فلها من خصوصية الشفاء ما ليس لغيرها، ولم يزل العارفون يتداوون بها من أسقامهم، ويجدون تأثيرها في البرء والشفاء عاجلا^(٥٤) ، كما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقرؤهم فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق، فقالوا إنكم لم تقرونا ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا، فجعلوا لهم قطيعا من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقه ويتفل فبرا، فأتوا بالشاء فقالوا لا نأخذه حتى نسأل النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه فضحك وقال: (وما أدراك أنها رقية خذوها واضربوا لي بسهم)^(٥٥).

المطلب الثالث: زمان نزول سورة الفاتحة وعدد آياتها

اختلف العلماء في سورة الفاتحة أهى مكية أم مدنية؟ فقال ابن عباس وقتاده وأبو العالية الرياحي وغيرهم: هي مكية. وقال أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار والزهري وغيرهم: هي مدنية. يقول القرطبي والأول أصح لقوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) (الحجر: ٨٧)، والحجر مكية بإجماع "فلم يكن يمن عليه بها قبل نزولها"^(٥٦). ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة. وما حفظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير "الحمد لله رب العالمين"، يدل على هذا قوله عليه السلام: (لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب)، والله أعلم^(٥٧).

وآياتها سبع، قال القرطبي: "أجمعت الأمة على أن فاتحة الكتاب سبع آيات"^(٥٨)، وقال ابن جرير "لا خلاف بين الجميع من القراء والعلماء في ذلك. وإنما اختلفوا في الآي التي صارت بها سبع آيات. فقال عظم أهل الكوفة: صارت سبع آيات بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) وروى ذلك عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين. وقال آخرون: هي سبع آيات، وليس منهن (بسم الله الرحمن الرحيم) ولكن السابعة "أنعمت عليهم". وذلك قول عظم قرأه أهل المدينة ومتقنيهم^(٥٩).

قال ابن العربي: "لا خلاف أن الفاتحة سبع آيات، فإذا عدت فيها (بسم الله الرحمن الرحيم) آية اطرده العدد، وإذا أسقطتها تبين تفصيل العدد فيها. قلنا: إنما الاختلاف بين أهل العدد في قوله: (أنعمت عليهم) هل هو خاتمة آية أو نصف آية؟ ويركب هذا الخلاف في عد {بسم الله الرحمن الرحيم} والصحيح أن قوله: {أنعمت عليهم} خاتمة آية؛ لأنه كلام تام مستوفي، فإن قيل: فليس بمقفي على نحو الآيات [قبله] قلنا: هذا غير لازم في تعداد الآي، واعتبره بجميع سور القرآن وآياته تجده صحيحاً إن شاء الله تعالى كما قلنا^(٦٠).

المبحث الثاني

المعنى العام لسورة الفاتحة

معنى قوله تعالى^(٦١): (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاتحة: ٢)، "الحمد لله": بمعنى وصف الله جل ثناؤه بالكامل في ذاته وصفاته وأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فأسماءه حسنة، وصفاته كلها كمال، وأفعاله كلها مقدسة عن كل ظلم أو نقص أو عيب، مع المحبة والتعظيم؛ لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة ولا تعظيم لا يسمى حمداً، وإنما يسمى مدحاً، ولهذا يقع من إنسان لا يحب الممدوح لكنه يريد أن ينال منه شيئاً كما يفعل بعض الشعراء للأمراء والحكام محبة في مال أو خوفاً منهم، ولكن حمدنا لربنا عز وجل حمد محبة، وتعظيم، فصفاته أجل الصفات، وإحسانه عم البريات، فله الحمد الكامل والثناء الجميل والوصف الكريم بجميع الوجوه^(٦٢)، ومن ذلك أنه (رب العالمين) المربي لجميع العالمين بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء. فما بهم من نعمة، فمنه تعالى. وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة: فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر، فهو الخالق المالك لكل شيء المدبر لجميع الأمور^(٦٣).

و(العالمين) والعالمون جمع عالم، والعالم: جمع لا واحد له من لفظه، وهي أصناف المخلوقات في السماوات والأرض في البر والبحر كعالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الإنس، وعالم الحيوان، وعالم الطيور، وكل قرن منها وجيل يسمى عالماً أيضاً، قال تعالى: (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ) (الشعراء: ١٦٥)^(٦٤)، فكل موجود سوى الله عز وجل يدخل في معنى العالمين، كما قال تعالى رداً على سؤال فرعون لموسى عليه السلام: (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُؤْمِنِينَ) (الشعراء: ٢٣-٢٤)^(٦٥)، ولذا أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله رب العالمين

قال: "إله الخلق كلهم، السماوات كلهن ومن فيهن، والأرضون كلهن ومن فيهن ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم" (٦٦).

فدل قوله (رب العالمين) على انفراده "بالخلق والتدبير والنعم، مع تمام غناه وتمام فقر العالمين إليه بكل وجه واعتبار" (٦٧). فمن عرف أن الله جل وعلا له كل كمال ومن كل نعمة، علم أنه المستحق لكل حمد ومحبة وتعظيم، حمدا له في كل أحواله، وبجميع أنواع المحامد؛ فهو المحمود من كل الوجوه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهو المحمود على كل حال؛ لأن الألف واللام في الحمد لاستغراق جميع المحامد والشكر الكامل لله، كما أن اللام في لفظ الجلالة (الله) للاختصاص والاستحقاق كما يقال: الدار لزيد، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أتاه الأمر يسره، قال: (الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات)، وإذا أتاه الأمر يكرهه، قال: (الحمد لله على كل حال) (٦٨)، وهي تحت كذلك على حمد الله تعالى كما قال ابن جرير: (الحمد لله) ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا: (الحمد لله)، واعلم أن الحمد لله هي كلمة العبودية التي تحمل معاني الحب والثناء والتعظيم لله عز وجل؛ ولذا قالت الملائكة: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) (البقرة: ٣٠)، وقد جاء في صحيح مسلم ما يبين عظم هذه الملائكة ووزنها عند الله، فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأ -أو تملأ - ما بين السماء والأرض...) (٦٩).

ومعنى قوله جل ثناؤه: (الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة غلى وجه المبالغة، ومعناه: ذو الرحمة التي لا نظير له فيها، ورحمن أشد مبالغة من رحيم؛ لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، قال ابن جرير: "حدثنا السري بن يحيى التميمي، حدثنا عثمان بن زفر، سمعت العزمي يقول: الرحمن الرحيم، قال: الرحمن لجميع الخلق، الرحيم قال: بالمؤمنين. قالوا: ولهذا قال: (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ) (الفرقان: ٥٩) وقال: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه: ٥) فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع

خلقه برحمته، وقال: (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا) (الأحزاب: ٤٣) فخصهم باسمه الرحيم، قالوا: فدل على أن الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه، والرحيم خاصة بالمؤمنين^(٧٠).

وقال قطرب (ت: ٢٠٦): "يجوز أن يكون جمع بينهما للتوكيد. قال الزجاج (ت: ٥٣١١): وهذا قول حسن، وفي التوكيد أعظم الفائدة، وهو كثير في كلام العرب، ويستغنى عن الاستشهاد، والفائدة في ذلك ما قاله محمد بن يزيد: إنه تفضل بعد تفضل، وإنعام بعد إنعام، وتقوية لمطامع الراغبين، ووعد لا يخيب آمله"^(٧١)، وقال بن عاشور: "وهو وجه ضعيف إذ التوكيد خلاف الأصل، والتأسيس خير من التأکید والمقام هنا بعيد عن مقتضى التوكيد"^(٧٢).

وقيل: إن صيغة فعلا تدل على وصف فعلي فيه معنى المبالغة (كفعال)، وهو في استعمال اللغة للصفات العارضة كعطشان وغضبان، وأما صيغة (فعل) فإنها تدل في الاستعمال على المعاني الثابتة كالأخلاق والسجايا في الناس كعليم وحكيم وجميل. والقرآن لا يخرج عن الأسلوب العربي البليغ في الحكاية عن صفات الله عز وجل التي تعلقو عن مماثلة صفات المخلوقين، فلفظ الرحمن يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل وهي إفاضة النعم والإحسان، ولفظ الرحيم يدل على منشأ الرحمة والإحسان وعلى أنها من الصفات الثابتة الواجبة، وبهذا المعنى لا يستغنى بأحد الوصفين عن الآخر، ولا يكون الثاني مؤكداً للأول؛ فإذا سمع العربي وصف الله جل ثناؤه بالرحمن وفهم أنه المفيض للنعم فعلا، لا يعتقد منه أن الرحمة من الصفات الواجبة له دائماً. لأن الفعل قد ينقطع إذا لم يكن عن صفة لازمة ثابتة وإن كان كثيراً، فعندما يسمع لفظ الرحيم يكمل اعتقاده على الوجه الذي يليق بالله تعالى^(٧٣).

وهذان الاسمان يندرج تحتها كل اسم دل على الرحمة والرأفة والتلطف والإحسان والجود والبر والحنان والمنة وغيرها. ومعناها المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها، حتى وسعت كل شيء، وعمت كل مخلوق، فكل النعم التي تحيط بنا من آثار رحمته "ولسعة رحمته ستر عيوب خلقه وأحب الستر، وغفر ذنوب عبده ولو بلغت عنان السماء، ورزق خلقه وهم يسبون ويتعرضون لسخطه، ولكمال رحمته رحم من يرحم عباده فقال: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)^(٧٤)، وهو

القال: (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (الأعراف: ٥٦)^(٧٥)، وقيل أيضا: إنما سمي نفسه رحيمًا لأنه لا يكلف عباده جميعًا ما لا يطيقون وكل ملك يكلف عباده جميع ما لا يطيقون فليس برحيم^(٧٦). ومعنى قوله تعالى (مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ) (الفاتحة: ٤): قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف بالألف (مالك) وقرأ الآخرون "نافع وابن كثير وأبو عمرو بن العلاء، وابن عامر {ملك} بغير ألف^(٧٧)، والله هو ملك الملوك ومالك الدنيا والآخرة وما فيهما، قال تعالى: (فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى) (النجم: ٢٥)، والفرق بينهما أن المالك ذو الملك بكسر الميم، والملك ذو الملك بضمها، وقد اختلف العلماء أيهما أبلغ ملك، أم مالك؟ قال الشوكاني (ت: ١٢٥٠ هـ): "والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه، أن الملك صفه لذاته، والمالك صفه لفعله"^(٧٨).

وقال صاحب المنار: "وإنما تظهر هذه التفرقة في عبد مملوك في مملكة لها سلطان، فلا ريب أن مالكة هو الذي يتولى جميع شؤونه دون سلطانه، أما الله جل وعلا فهو مالك كل شيء كما قال تعالى: (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) (الانفطار: ١٩)، وهو ملك على كل من ملك كمل قال تعالى: (لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) (غافر: ١٦) فهي تدل على كمال ملكه وعظيم سلطانه وقهره. والله أعلم"^(٧٩)، وأن الخلق مهما ملكوا من أموال ومناصب فهم فقراء عاجزون مملوكون لربهم، وأن الأمر بيده، والمشيئة المطلقة له، وأن ما قدره لك سوف يأتيك على ضعفك، وما أم يكن لك لن يأتيك على قوتك، قال تعالى: (مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (فاطر: ٢)، فالملك "يرجع إلى ثلاثة أمور: صفات الملك التي هي من صفاته العظيمة من كمال القوة والعزة والقدرة والعلم المحيط والحكمة الواسعة والمشيئة النافذة ونحوها، وملكه للتصارييف والشؤون في جميع العوالم، وذلك لأنه من اتصافه جل ثناؤه بصفة الملك يدل على ما يلزم من آثارها التي منها أنه يأمر وينهي، ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب، ويتصرف بمماليكه بجميع أنواع التصرفات بلا مانع ولا منازع، وأن جميع الخلق ممالكه وعبيده، فهو الملك الذي له ملك العالم العلوي والسفلي، وله التدبيرات النافذة فيه، ليس لله في ذلك مشارك"^(٨٠). وفي الجمع بين القراءتين فائدة

عظيمة؛ وهي أن ملكه جل وعلا ملك حقيقي؛ لأن من الخلق من يكون ملكا؛ ولكن ليس بملك: يسمى ملكا اسما وليس له من التدبير شيء؛ ومن الناس من يكون مالكا ولا يكون ملكا كعامة الناس؛ ولكن الرب عز وجل مالك وملك^(٨١)، وأن ملكه باقي وملك غيره زائل.

وأضاف الملك ليوم الدين، الذي هم يوم الحساب والجزاء، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها مع كونه مالكا للأيام كلها، لأن الأملاك يومئذ زائلة فلا ملك ولا أمر إلا له، وهو اليوم الذي يجمع الله فيه الخلق كلهم ملوكا ومملوكين، قال الله تعالى: (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ) (الفرقان: ٢٦)، ولأنه في ذلك اليوم يظهر للخلق جميعا كمال ملكه وعدله وحكمته وانقطاع أملاك الخلق حتى إنه يستوي في ذلك اليوم الملوك والرعايا كلهم مدعنون لعظمته، خاضعون لعزته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه.

ومعنى قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة: ٥)، قوله: (إياك) "إياك" مفعول به مقدم؛ وعامله (نعبد)، وقدم على عامله -وفي اللغة الأصل أن يقدم العامل على المفعول- لإفادة الحصر والاهتمام، وجاءت نعبد بصيغة المضارعة لتفيد الاستمرار، ومعنى (نعبد) أي نوحّدك ونطيعك خاضعين، والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع مع أقصى درجات الحب، قال ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ): "العبادة في الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف"^(٨٢)، والذل والطاعة إذا أضيف إليهما المحبة كانت هي العبادة، فالطاعة المطلقة لأمره ونهيّه مع محبة الأمر الناهي مع الذلة هي العبادة. وهي جامعة لكل شعائر الدين؛ لأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

و(نستعين) نطلب منك المعونة على عبادتك وعلى جميع أمورنا، لأن أمر العباد كله بيدك وحدك لا شريك لك، لا يملك أحد معك مثقال ذرة، وهي بمعنى الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة به في تحصيل ذلك، "وهي ثمرة التوحيد واختصاص الله تعالى بالعبادة، فمن كان موحدا خالصا لا يستعين بغير الله تعالى قط"^(٨٣)، لأنه يعلم فقر الخلق جميعا إليه، فإن الاستعانة بالله

هي "طلب المعونة على ما لا قبل للبشر بالإعانة عليه ولا قبل للمستعين بتحصيله بمفرده"^(٨٤)، ولهذا قال المحققون: لا حول عن معصية إلا بعصمته، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيقه"^(٨٥).

والاستعانة داخلية في معنى العبودية ولكنها خصت بالذكر إشارة إلى أن تحقيق العبودية يحتاج إلى استعانة، واستقامة على الصراط المستقيم، ولأنها رأس العبودية؛ ولذا خصها الله بالذكر مع العبادة كما قال تعالى: (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) (هود: ١٢٣)، فالتوكل من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، فكما أن الجسد لا يقوم بدون الرأس فكذلك الدين لا يقوم بدون توكل، ولأن أمور الدين والدنيا لا تقوم إلا بعون الرب لعبده، فإن العبد الذي عرف قدرة الله وقيوميته وعلمه لم يلتفت لغيره، وعلى قدر استعانة العبد وتوكله وثقته تكون كفاية الله له قال تعالى: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق: ٣).

ومعنى قوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (الفاتحة: ٦-٧) قوله تعالى (اهدنا) بمعنى: وفقنا للثبات عليه، كما روى ذلك عن علي وأبي بن كعب وابن عباس، كما يقال للقائم: قم حتى أعود إليك أي: دم على ما أنت عليه، وهي تدل على نفي الاستطاعة للصراط إلا بتوفيق الله تعالى، ولذلك صار الذين اهتدوا إليه ممن أنعم الله عليهم "وإلا ما كان لاختصاص المنعمين بالذكر معنى"^(٨٦).

والصراط المستقيم: "قال ابن عباس وجابر رضي الله عنهما: هو الإسلام، واختاره مقاتل. وقال علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: هو القرآن، وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه: طريق الجنة. وقال سهل بن عبد الله: هو طريق السنة والجماعة. وقال بكر بن عبد الله المزني: طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال أبو العالية والحسن: رسول الله وآله وصحابه من بعده أبو بكر وعمر، وقال ابن الحنفية: هو الدين الذي لا يقبل من العباد غيره"^(٨٧)، وهي أقوال لا تعارض بينها. قال ابن القيم: "إن الناس قد تنوعت عباراتهم فيه وترجمتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته، وحقيقته شيء واحد، وهو طريق الله الذي نصه لعباده على ألسن رسله وجعله موصلا لعباده إليه، ولا طريق لهم إليه سواه بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا، وهو إفراده بالعبودية، وإفراده رسله بالطاعة، فلا يشرك به أحد في

عبوديته، ولا يشرك برسوله أحد في طاعته فيجسد التوحيد ويجرد متابعة الرسول، وهذا معنى قول بعض العلماء: "إن السعادة والفلاح كله مجموع في شيئين صدق ومحبة، وحسن معاملته"، وهذا كله مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فأى شيء فسر به الصراط فهو داخل في هذين الأصلين، ونكتة ذلك وعقده أن تحبه بقلبك كله وترضيه بجهدك كله فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه ولا تكون لك إرادة إلا متعلقة بمرضاته، الأول يحصل بالتحقيق بشهادة أن لا إله إلا الله، والثاني يحصل بالتحقيق بشهادة أن محمدا رسول الله، وهذا هو الهدى ودين الحق، وهو معرفة الحق والعمل له، وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به، فقل ما شئت من العبارات التي هذا أحسنها وقطب رحاها^(٨٨).

وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت والدوام، وبمعنى طلب مزيد الهداية وكما لها من جميع الوجوه؛ لأن الألفاظ والهدايات من الله تعالى لا تتناهى على مذهب أهل السنة.

ومعنى قوله تعالى: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) مزيد بيان وعناية في تخصيص الصراط المستقيم بمن من عليهم بالهداية والتوفيق واختصهم بنعمته وحباهم بكرامته قال عكرمة: مننت عليهم بالثبات على الإيمان والاستقامة، وهم الأنبياء عليهم السلام، وقيل: هم كل من ثبته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء: ٦٩)، والإنعام إيصال النعمة الإحسان إلى الغير إذا كان من العقلاء، وأطلقه هنا ليشمل كل إنعام؛ وإن كان الإسلام هو عنوان النعم. وهي تفيد أن الذين أنعم الله عليهم على مر الدهور كانوا على الصراط المستقيم، بما يلفت إلى أهمية الإلتزام للحق لا التقليد للخلق، وأن من أراد أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم أن يقتفي آثارهم في الهدى والاستقامة.

ومعنى قوله تعالى: (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) غير: لفظ يستثنى به، أي ويستثنى منهم الذين غضبت عليهم، لتركهم الحق بعد معرفته كاليهود، والضالين عن الهدى الذين عبدوا الله بغير ما

شرع عن جهل وضلال كالنصارى. يقول ابن القيم: "فالشفاء والكفر ينشأ من عدم معرفة الحق تارة، ومن عدم إرادته والعمل به أخرى، فكفر اليهود نشأ من عدم إرادة الحق والعمل به وإيثار غيره عليه بعد معرفته فلم يكن ضلالاً محضاً، وكفر النصارى نشأ من جهلهم بالحق وضلالهم فيه... ثم لما كان الهدى والفلاح والسعادة لا سبيل إلى نيله إلا بمعرفة الحق وإيثاره على غيره، وكان الجهل يمنع العبد من معرفته بالحق، والبغي يمنعه من إرادته كان العبد أحوج شيء إلى أن يسأل الله تعالى كل وقت أن يهديه الصراط المستقيم تعريفاً وبياناً وإرشاداً وإلهاماً وتوفيقاً وإعانة فيعلمه ويعرفه ثم يجعله مريداً له قاصداً لإتباعه فيخرج بذلك عن طريقة المغضوب عليهم الذين عدلوا عنه على عمد وعلم، والضالين الذين عدلوا عنه عن جهل وضلال^(٨٩)."

المبحث الثالث

المناسبات بين كلمات وآيات سورة الفاتحة

المتدبر لسورة الفاتحة يجدها متناسبة متعاقبة بين كل كلماتها وآياتها بصورة تبهر العقول بتناسقها ودقة انتظامها، إليك طرفاً من ذلك الروعة والجمال الذي يبهج العقول.

ففي افتتاح تلاوة القرآن الكريم بالبسملة تناسق مع أمر الله به عباده " أن يبتدئوا عند فواتح أمورهم بتسمية الله لا بالخبر عن عظمتهم وصفاته كالذي أمروا به من التسمية على الذبائح والصيد، وعند المطعم والمشرب، وسائر أفعالهم، وكذلك الذي أمروا به من تسميته عند افتتاح تلاوة تنزيل الله، وصدور رسائلهم وكتبهم"^(٩٠).

وفي البدء في فاتحة كتابه بـ "الحمد" قال أهل التحقيق: "لما كانت هذه الكلمة فاتحة الشكر جعلها الله فاتحة كلامه، ولما كانت خاتمة جعلها الله خاتمة كلام أهل الجنة فقال تعالى: (وَأَخِرَ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (يونس: ١٠)^(٩١)"، وهي أحق وأوجب وأثبت كلمة تقال لما تضمنته من تحقيق التوحيد وقام التفويض، كمل جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رفع رأسه من الركوع قال: (ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وملء ما شئت من

شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد^(٩٢)، كما فيها بيان أدب مناجاة الله "جريا على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء أن يفتتحوا خطابهم إياهم وطلبتهم بالثناء والذكر الجميل"، قال امية ابن أبي الصلت (ت: ٥٥هـ) الشاعر الجاهلي بمدح عبد الله بن جدعان:

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

إذا أثني عليك المرء يوما كفاه عن تعرضه الثناء^(٩٣)

ولما أثبت الله لنفسه الحمد بين مستحق الحمد في قوله: (رب العالمين) بما يدل على انفراده بالخلق والتدبير والنعم وكمال غناه، وتمايم فقر العالمين إليه بكل وجه، "وفي ذلك إشعار لعباده بأنهم مكرمون من ربهم، إذ الأمر بغير توجيه فيه إيماء إلى إهمال عقولهم، أما إذا كان موجها ومعللا فإنه يكون فيه إشعار لهم برعاية ناحية العقل فيهم، وفي تلك الرعاية تشريف وتكريم لهم"^(٩٤).

ولما وصف نفسه عز وجل بأنه (رب العالمين) وكان المربوبون ضعفاء وكان احتياجهم للرحمة واضحا ترقبهم إياهم من الموصوف بها بالذات ناجحا "جاء ذكرها، ولما كانت الربوبية نعمة لأنها بمعنى إبلاغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا وذلك يجمع النعم كلها، والنعمة قد تحصل بضرب من الشدة والأذى، فأتبع ذلك بوصفه بالرحمن تنبيها على أن تلك النعم الجليلة وصلت إلينا بطريق الرفق واليسر ونفي الحرج، حتى في أحكام التكاليف والمناهي والزواجر فإنها مرفوقة باليسر بقدر ما لا يبطل المقصود منها، فمعظم تدبيره تعالى بنا هو رحمت ظاهرة كالتمكين من الأرض وتيسير منافعها، ومنه ما رحمته بمراعاة اليسر بقدر الإمكان مثل التكاليف الراجعة إلى منافعها كالطهارة وبث مكارم الأخلاق، ومنها ما منفعته للجمهور فتتبعها رحمت الجميع لأن في رحمة الجمهور رحمة بالبقية في انتظام الأحوال كالزكاة"^(٩٥).

وقيل أتبع جل جلاله هذا الوصف وهو (رب العالمين)، بوصف آخر هو (الرحمن الرحيم) لحكم سامية من أبرزها: أن وصفه سبحانه وتعالى بـ (رب العالمين) أي: مالكهم، قد يثير في النفوس شيئا من

الخوف أو الرهبة، فإن المرئي قد يكون خشنا جبارا متعنتا، وذلك مما يחדش من جميل التربية، وينقص من فضل التعهد لذا قرن -سبحانه- كونه مرييا، بكونه الرحمن الرحيم، لينفي بذلك هذا الاحتمال، وليفهم عباده بأن ربوبيته لهم مصدرها عموم رحمته وشمول إحسانه، فهم برحمته يوجدون، وبرحمته يتصرفون ويرزقون، وبرحمته يبعثون ويسألون. ولا شك أن في هذا الإفهام تحريضا لهم على حمده وعبادته بقلوب مطمئنة، ونفوس مبهتجة، ودعوة لهم إلى أن يقيموا حياتهم على الرحمة والإحسان، لا على الجبروت والطغيان، فالراحمون يرحمهم الرحمن.^(٩٦)

و قيل: لما وصف نفسه بما يدل على كبريائه وعزته وجبروته وقهره ثنى بما يدل على سعة رحمته وكمال لطفه وسعة بره وفضله وإحسانه فقال تعالى: (الرحمن الرحيم)، ليجمعوا بين اعتقاد الجلال والإكرام، قال القرطبي: "قوله تعالى (الرحمن الرحيم) وصف نفسه تعالى بعد "رب العالمين" بأنه "الرحمن الرحيم"؛ لأنه لما كان في اتصافه بـ "رب العالمين" ترهيب قرنه بـ "الرحمن الرحيم" لما تضمن من الترغيب؛ ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه، فيكون أعون على طاعته وأمنع"^(٩٧)، كما قال تعالى (تَبَيَّنْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمُ (٤٩) وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) (الحجر: ٤٩-٥٠)، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ)^(٩٨). وقيل في سبب ذكرها بعد (الحمد لله رب العالمين) "ليذكرهم أن تربيته للعالمين ليست لحاجة به إليهم كجلب منفعة أو دفع مضرة وإنما هي لعموم رحمته وشمول إحسانه"^(٩٩). وقيل: "لما أراد ذكر يوم الدين لأنه ملكه ومالكة، وفيه يقع الجزاء، والعقاب، والثواب وفي ذكره يحصل للمؤمنين مالا مزيد عليه: من الرعب والخشية، والخوف، والهيبة؛ قدم عليه ذكر الرحمن الرحيم تطينا له، وتأمينا، وتطيبا لقلبه، وتسكيننا، وإشعارا بأن الرحمة سابقة غالبية، فلا يئأس ولا يأسى فإن ذلك اليوم -وإن كان عظيما عسيرا- فإنما عسره وشدته على الكافرين؛ وأما المؤمن فبين صفتي الرحمن الرحيم من الآمنين^(١٠٠).

وفي تقدم اسم "الله" على اسمه "الرحمن" و"الرحيم"، قال بن جرير: قيل: لأن من شأن العرب إذا أرادوا الخبر عن مخبر عنه أن يقدموا اسمه، ثم يتبعوه صفاته ونعوته... وكان الله جل ذكره أسماء قد حرم على الخلق أن يتسموا بها، خص بها نفسه دونهم، وذلك مثل "الله" و"الرحمن" و"الخالق"؛ وأسماء أباح لهم أن يسمي بعضهم بعضا بها، وذلك: كالرحيم والسميع والبصير والكريم، وما أشبه ذلك من الأسماء - كان الواجب أن تقدم أسماءه التي هي له خاصة دون جميع خلقه، ليعرف السامع ذلك من توجه إليه الحمد والتمجيد، ثم يتبع ذلك بأسمائه التي قد تسمى بها غيره، بعد علم المخاطب أو السامع من توجه إليه ما يتلو ذلك من المعاني.

فبدأ الله جل ذكره باسمه الذي هو "الله"؛ لأن الألوهية ليست لغيره جل ثناؤه من وجه من الوجوه، لا من جهة التسمي به، ولا من جهة المعنى. ثم ثنى باسمه الذي هو الرحمن، إذ كان قد منع أيضا خلقه التسمي به، وإن كان من خلقه من قد يستحق تسميته ببعض معانيه. وذلك أنه قد يجوز وصف كثير ممن هو دون الله من خلقه، ببعض صفات الرحمة. وغير جائز أن يستحق بعض الألوهية أحد دونه. فلذلك جاء الرحمن ثانيا لاسمه الذي هو "الله". وأما اسمه الذي هو "الرحيم" فقد ذكرنا أنه مما هو جائز وصف غيره به... فهذا وجه تقديم اسم الله الذي هو "الله" على اسمه الذي هو "الرحمن" واسمه الذي هو "الرحمن" على اسمه الذي هو "الرحيم" (١٠١).

ثم اتبع الأوصاف المتقدمة بقوله: (مالك يوم الدين)، ولم يكن ذلك لمجرد سرد صفات من صفاته تعالى؛ بل هو مما أثارته الأوصاف المتقدمة، فإنه لما وصف تعالى بأنه رب العالمين، الرحمن الرحيم، وعلم الله خلقه سعة رحمته ليقبلوا، ومن عظيم رحمته ما أنزله لعباده من تشريع يحمل الأمر والنهي المخالف لهوى النفوس "خيف أن تكون تلك الأوصاف المتقدمة في فاتحة الكتاب مخففا عن المكلفين عبء العصيان لما أمروا به ومثيرا لأطماعهم في العفو عن استخفافهم بذلك وأن يمتلكهم الطمع فيعتمدوا على ما علموا من الربوبية والرحمة المؤكدة فلا يخشوا غائلة الإعراض عن التكليف، لذلك كان من مقتضى المقام تعقيبه بذكر أنه صاحب الحكم في يوم الجزاء: (الْيَوْمَ نُجْزِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ)

(غافر: ١٧) لأن الجزاء على الفعل سبب في الامتثال والاجتناب لحفظ مصالح العالم، وأحيط ذلك بالوعد والوعيد "(١٠٢) جمعا بين الترغيب والترهيب في تربيتهم" وجعل مصداق ذلك الجزاء يوم القيامة، ولذلك اختير هنا وصف ملك أو مالك مضافا إلى يوم الدين. فأما ملك فهو مؤذن بإقامة العدل وعدم الهوادة فيه لأن شأن الملك أن يدبر صلاح الرعية ويذب عنهم، ولذلك أقام الناس الملوك عليهم. ولو قيل (رب يوم الدين) لكان فيه مطمع للمفسدين يجدون من شأن الرب رحمة وصفحاً، وأما مالك فمثل ذلك في إشعاره بإقامة الجزاء على أوفق كفياته بالأفعال المجزى عليها "(١٠٣).

ولما كان قوله تعالى (رب العالمين) تدل في ظاهرها الأولى على بداية الخلق وتكوينه وتربيته، فإن (مالك يوم الدين) تدل على نهاية الخلق والفصل بينهم وجزائهم، فهي تبين كمال ملكه للعالم والآخرة ملك لا ينتهي بمكان، ولا ينقضي في زمان، تكميلاً لصفات العظمة والجلال والإكرام، "إيماء بأن موصوفها حقيق بالحمد الكامل الذي أعربت عنه جملة (الحمد لله) لأن تقييد مفاد الكلام بأوصاف متعلق ذلك المفاد يشعر بمناسبة بين تلك الأوصاف وبين مفاد الكلام مناسبة تفهم من المقام مثل التعليل في مقام هذه الآية" (١٠٤).

وفي قوله (مالك يوم الدين) دلالة على إثبات المعاد والحشر والحساب، ولما اتصف تعالى بالرحمة انبسط العبد وغلب عليه الرجاء، فنبه بصفة الملك أو المالك ليكون من عمله على وجل، وأن لعمله يوماً تظهر له فيه ثمرته من خير وشر (١٠٥).

ولما كان داعي العبادة التعظيم والإجلال وهو إما عن محبة أو عن خوف مجرد، وأهمه ما كان عن محبة لأنه يرضى نفس فاعله غلبت هنا الصفات التي تدعوا إلى محبته في قوله (رب العالمين الرحمن الرحيم) (١٠٦).

وإذا أتم الحامد حمد ربه من خلال تلك الصفات العظيمة التي تجلت فيها أوصاف كماله وغناه، وظهر للعيان عظيم سلطانه بصورة لا تبقى في قلب عاقل التوجه لغيره جاء الحديث بعد ذلك عن إخلاص العبودية له والاستعانة به، لأن سعادة الدنيا والآخرة مرتبطة بعبودية الله والاستعانة به،

"انتقالاً من الإفصاح عن حق الرب إلى إظهار مراعاة ما يقتضيه حقه تعالى على عبده من إفراده بالعبادة والاستعانة، فجاء قوله تعالى: (إياك نعبد وإياك نستعين) ومفاتيحه العظماء بالتمجيد عند التوجه إليهم قبل أن يخاطبوا بطريقة عربية (١٠٧).

ولما كانت سورة الفاتحة مشتملة على ثلاثة لله، وثلاثة للعبد، قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) في بيان الذي هو بين الله وبين عبده، "يغني: من العبد العبادة، ومن الله سبحانه العون (١٠٨)، وعدل عن الغيبة إلى الخطاب لقصد الالتفات لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر إيقاظاً له كما تقرر في علم المعاني (١٠٩).

ووجه تقديم العبادة على الاستعانة في قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) لأن العبادة تقرب للخالق تعالى فهي أجدر بالتقديم في المناجاة اهتماماً بتقديم حق الله تعالى على حق عبده، وأما الاستعانة فهي لنفع المخلوق للتيسير عليه فناسب أن يقدم المناجي ما لله تأدبا مع الله، وأخرت الاستعانة لتناسب ما للعبد، وقيل قدمت العبادة لأنها من عزم العبد وصنعه على ما يسأله مما يعين على ذلك، لأن لفظ العبادة يشعر بأن العبد يطلب من الرب الإعانة على شيء له فيه كسب ليعينه على القيام به، ويذكره من جهة أخرى بضعفه لكيلا يغتر فيتهم أنه مستغن بكسبه عن عناية ربه، فيكون من الهالكين على عاقبة أمره"، وقيل: قدمت العبادة من باب تقديم العام على الخاص، فإن الاستعانة نوع تعبد، فكأنه ذكر جملة العبادة أولاً ثم ذكر ما هو من تفاصيلها، ومما لا تتم العبادة إلا به، فإن العبد إن لم يعنه الله لم يحصل له ما يريد من فعل الأمر واجتناب النهي، فهم لا يستقلون بإقامة العبادات؛ بل إن عون الله هو الذي ييسر لهم أداءهم. وقيل قدمت العبادة لأن الثانية ثمرة للأولى، ولأن العبادة غاية والاستعانة وسيلة إليها والغاية أولى من الوسيلة؛ وقيل "لما كانت الاستعانات التي وقعت بغير الله من أهم الأسباب الصارفة عن عبودية الله جاء الحديث هنا عن الاستعانة بالله لتكميل عبوديته"، وقيل: لأن العبادة أنسب للجزاء ويوم الدين الذي سبقها، والاستعانة أنسب لطلب الهداية الذي ورد بعدها، وقد

حصل من ذلك التقديم أيضا إيفاء حق فواصل السورة المبنية على الحرف الساكن المتماثل أو القريب في مخرج اللسان (١١٠).

وفي تكرير الضمير إياك (في الاستعانة دون أن يعطف فعل) نستعين (على) نعبد، التنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة منها، ولإبراز التلذذ بالمناجاة والخطاب "... وضميرا (نعبد ونستعين) يعودان إلى تالي السورة ذاكرا معه جماعة المؤمنين. وفي العدول عن ضمير الواحد إلى الإتيان بضمير المتكلم المشارك الدلالة على أن هذه المحامد صادرة من جماعات، ففيه إغاظه للمشركين إذ يعلمون أن المسلمين صاروا في عزة ومنعة، ولأنه أبلغ في الثناء من أعبد وأستعين لئلا تخلو المناجاة عن ثناء أيضا بأَن المحمود المعبود المستعان قد شهد له الجماعات وعرفوا فضله... فكأن الحامد لما انتقل من الحمد إلى المناجاة لم يغادر فرصة يقتنص منها الثناء إلا انتهزها (١١١).

ولما كانت العبادة تحتاج إلى إخلاص واستعانة وهداية علمية وعملية على الشرع القويم جاء الحديث عن الصراط المستقيم؛ وذلك "لأنه لا بد في العبادة من إخلاص؛ يدل على قوله تعالى: (إياك نعبد)؛ من استعانة يتقوى بها على العبادة؛ يدل عليه قوله تعالى: (وإياك نستعين)؛ ومن اتباع للشرعة؛ يدل عليه قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) لأن (الصراط المستقيم) هو الشرعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم (١١٢).

ولما كانت الآية السابقة في تأكيد الاستعانة قولاً جاء تحققها فعلاً في قوله اهدنا، وإذا كانت إياك نستعين لما مضى وحضر فهذه في "مسألة العبد ربه التوفيق لأداء ما كلف من فرائضه، فيما يستقبل من عمره (١١٣).

وفي ذكر التفصيل بعد الإجمال في قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم) هذا مجمل؛ و(صراط الذين أنعمت عليهم) هذا مفصل؛ لأن الإجمال ثم التفصيل فيه فائدة: فإن النفس إذا جاء المجمل تترقب، وتتشوف للتفصيل والبيان؛ فإذا جاء التفصيل ورد على نفس مستعدة لقبوله متشوفة إليه.

وفي قوله (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) جاءت شاملة لبيان أقسام الناس من الحق، فإنهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: قسم أنعم الله عليهم؛ وقسم مغضوب عليهم؛ وقسم ضالون، وأسباب الخروج على الصراط المستقيم: إما الجهل؛ أو العناد، والذين سبب خروجهم العناد هم المغضوب عليهم. وعلى رأسهم اليهود؛ والآخرين الذين سبب خروجهم الجهل كل من لا يعلم الحق.

وقدم المغضوب عليهم على الضالين لوجوه ذكرها العلماء منها: أنهم متقدمون عليهم بالزمان، ولأنهم كانوا هم الذين يلون النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتابين فإنهم كانوا جيرانه في المدينة، والنصارى كانت ديارهم نائية عنه، ولأن اليهود أغلظ كفرا من النصارى، ولهذا كان الغضب أخص بهم واللعنة والعقوبة فإن كفرهم عن عناد وبغي كما تقدم فالتحذير من سيئهم والبعد منها أحق وأهم بالتقديم وليس عقوبة من جهل كعقوبة من علم؛ ولأن المخالف عن علم يصعب رجوعه. بخلاف المخالف عن جهل، ولأنه تقدم ذكر المنعم عليهم والغضب ضد الإنعام والسورة هي السبع المثاني التي يذكر فيها الشيء ومقابله، فذكر المغضوب عليهم مع المنعم عليهم فيه من الازدواج والمقابلة ما ليس في تقديم الضالين، فقولك: الناس منعم عليه ومغضوب عليه، فكن من المنعم عليهم، أحسن من قولك: منعم عليه وضال^(١١٤).

"وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام، وغير المغضوب عليهم بدل من الذين أنعمت عليهم على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال، أو صفة له على معنى أنهم جمعوا بين النعمتين نعمة الإيمان والسلامة من ذلك، وصح جعله صفة للمعرفة مع كون "غير" لا تتعرف بالإضافة إلى المعارف لما فيها من الإبهام لأنها هنا غير مبهمة لاشتغال المغايرة بين الجنسين"^(١١٥).

المبحث الرابع

الوحدة الموضوعية في سورة الفاتحة

المطلب الأول: الموضوع الرئيس في السورة:

لما كان لكل سورة من سورة القرآن الكريم مهما كان لها من العظمة كسورة الفاتحة التي هي أم القرآن وأساسه، أو من الطوال كسورة البقرة موضوعاً أساساً تدور حوله آياتها ومحاورها، وكان تحديد ذلك لا يظهر للمفسر إلا بعد جهد ونظر، وقد كان هدفنا من هذه الدراسة إبراز الوحدة الموضوعية للسورة فبعد التأمل والنظر في آيات السورة وكلماتها، بل حتي في أسمائها وفضائلها تبين للباحث أن موضوع السورة الرئيس هو: "تحقيق العبودية الخالصة لله سبحانه وتعالى" التي من أجلها خلق الله الخلق، كما قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } (الذريات: ٥٦) ومن أجلها أرسل الله الرسل، كما قال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ (النحل: ٣٦)، ومن أجلها أنزل الكتب، قال تعالى: { الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ } (هود: ١-٢)، وهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، قال ابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥): "إن الله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لدعائه الخلق إلى معرفته وتوحيده، وعبادته ومحبته والقرب منه والإنابة إليه، هذا هو مقصود الرسالة ولبها وقطب رحاها الذي تدور عليه، وما وراء ذلك فإنها مكملات ومتممات ولواحق، فكل أحد مفتقر إلي معرفة ذلك علماً، والإتيان به عملاً، فلا سعادة للعبد ولا فلاح ولا نجاة بدون هذين المقصدين" (١١٦) ، ولما كان جماع أمر الدين في معرفة الله جل وعلا وتحقيق العبودية الخالصة له علي نهج النبوة الراشد، كان من المناسب أن يكون موضوع سورة الفاتحة الرئيس في ذلك المعني، وهو الموضوع البارز من خلال آيات السورة، بل هو الموضوع الرئيس في القرآن الكريم. وقد جاء مأثوراً عن الحسن البصري قال: "إن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب، جمع علمها في الأربعة، وجمع علم الأربعة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصل، وجمع علم المفصل في أم القرآن، وجمع علم أم القرآن في هاتين الكلمتين الجامعتين: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (الفاحة: ٥)"^(١١٧)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "هذه الآية جمعت جميع أسرار القرآن (إياك نعبد وإياك نستعين)... وإن علم الكتب المنزلة من السماء اجتمع في هاتين الكلمتين الجامعتين"^(١١٨)، وقال ابن القيم: "علم القرآن جمع في المفصل، وعلم المفصل جمع في الفاحة، وعلم الفاحة جمع في: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}"^(١١٩)، فهي عمود سورة الفاحة، وجماع المعنى الذي أراده الله تعالى وأنزل الكتب من أجله وعليه مدار جميع القرآن الكريم، قال ابن القيم كذلك في مدارج السالكين: "إن سر الخلق والأمر، والكتب والشرائع، والثواب والعقاب، ينتهي إلى الكلمتين اللتين تضمنتهما هذه الآية: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}"^(١٢٠)، فهذه الآية العظيمة هي الآية الوسطي في الفاحة، وهي التي بين العبد وربّه، سماها بعض العلماء سر القرآن، وصنف فيها العلماء المصنفات، فألف شيخ الإسلام الهروي (ت: ٥٤٨٠) "منازل السائرين" ثم شرحها ابن القيم في كتابه القيم "مدارج السالكين بين منازل إِيَّاكَ نعبد وإِيَّاكَ نستعين"، وهي جامعة لمعاني القرآن الكريم في العقيدة والعبادة والأخلاق، ومرجع الدين ومدار التوحيد والعبودية قائم عليها، ولهذا قال الفيروز آبادي "فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير كتب الله المنزلة. ومن قرأها فكأنما قرأ التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان"^(١٢١).

ولو أن الأمة حققت هذه الآية: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (الفاحة: ٥) التي يكثرون من تلاوتها واعتصموا بها بحيث لا يعبدون غيره ولا يستعينون بأحد سواه، مع التزام الصراط المستقيم في تحقيق عبوديته لفهموا الأصل الذي به تكون سعادتهم في الدنيا والآخرة، والذي جاءت آيات الكتاب لبيانها دون غيره، وعليهما مدار العبودية والدين، وهي موضع القسمة في السورة بين العبد وربّه ولهذا جاء في الحديث: وإذا قال العبد: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} قال: فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدني ما سألت).

"فقد ثبت بهذا النص أن هذه السورة منقسمة بين الله وبين عبده، وأن هاتين الكلمتين مقتسم السورة، ف {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} مع ما قبله لله. و {وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ} مع ما بعده للعبد وما له ما سألت،

ولهذا قال من قال من السلف: نصفها ثناء ونصفها مسألة، وكل واحد من العبادة والاستعانة دعاء" (١٢٢).

المطلب الثاني: المحاور الفرعية في سورة الفاتحة:

المفاتيح الأساسية لفهم السورة القرآنية معرفة موضوعها الرئيس ومحاورها الفرعية، وقد تضمنت سورة الفاتحة جميع علوم القرآن ومقاصده ومعانيه بدلالة المطابقة أو التضمن أو الالتزام، واحتوت علي ما لم تحتو عليه سورة أخرى من سور القرآن، قال ابن عاشور: "وهذه السورة وضعت في أول السور لأنها تنزل منها منزل ديباجة خطبة أو الكتاب، مع ما تضمنته من أصول مقاصد القرآن" (١٢٣)، وقال الرازي: "إن هذه السورة مسماة بأمر القرآن فوجب كونها كالأصل والمعدن، وأن يكون غيرها كالجدول المتشعبة منه" (١٢٤)، ولما كانت مشتملة علي مقاصد الكتاب سميت بأمر الكتاب، وأم القرآن، والقرآن العظيم، وقد تكلم العلماء عن محاور كثيرة لهذه السورة، ورغم تعدد أقوال أهل العلم فيما اشتملت عليه هذه السورة من علوم ومقاصد وحكم ومحاور فقد اجتمعت كلمتهم علي شمول هذه السورة لكل ما جاء في القرآن، وبعد النظر والتأمل في كل ما ذكر رأيت أنه يمكن إجمال موضوعات هذه السورة العظيمة في ثلاثة محاور جاء القرآن الكريم لبيانها وتحقيقها وهي:

المحور الأول: التعريف بالمعبود الحق جل جلاله:

المحور الأول لسورة الفاتحة التعريف بالله عز وجل، وذلك من خلال الحمد لله الذي يقتضي أنه موجود، وذلك لأن المجهول لا يتوجه إليه بشيء، ولا يقصد بثناء ولا عبادة ولا بغيرهما. وهو مستحق للحمد لما له من صفات الكمال ولتنزهه عن جميع صفات النقص، "ولا يكون مستحقا للحمد إلا إذا كان قادرا علي كل الممكنات علما بكل المعلومات" متصرفا في كل المخلوقات، ولذا قال بعدها أنه {رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ} (الفاتحة: ٢-٤)، ف(رب العالمين) تدل علي أعظم صفات الله بعد الدلالة علي وجوده من ذلك: الوحدانية والخلق والعلم والحكمة والغني والكبرياء والعزة والعلو، والقهر، المتصرف في الأكوان وسائر المخلوقات، والمالك للحساب والجزاء في يوم

لا ينفع المرء فيه إلا عمله، والرحمن الرحيم تشير إلى رأفته ولطفه وبره وسعة جوده وإحسانه، ومالك يوم الدين تدل علي كمال حكمته ورحمته بسبب خلق الدار الآخرة، فهي "مستلزم لجميع صفات كماله إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بجي ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولا فعال لما يريد ولا حكيم في أفعاله... وصفات العدل والقبض والبسط والخفض والرفع والعطاء والمنع والإعزاز والإذلال والقهر والحكم ونحوها أخص باسم الملك" (١٢٥).

فهي تعرف بالخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله، كما تضمنت أنواع التوحيد الثلاثة الذي اتفقت عليها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: {رَبِّ الْعَالَمِينَ}. وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة، مع الاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها بدون إعانتة، يؤخذ من لفظ: {الله} ومن قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل ذلك علي لفظ {الْحَمْدُ} الذي هو الثناء علي الله عز وجل بأوصاف كماله وجلاله وتنزيهه عن جميع النقائص، "فإن الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله ونعوت جلاله مع محبته والرضا عنه والخضوع له فلا يكون حامدا من جحد صفات المحمود ولا من أعرض عن محبته والخضوع له، وكلما كانت صفات كمال المحمود أكثر كان حمده أكمل، وكلما نقص من صفات كماله نقص من حمده بحسبها، ولهذا كان الحمد لله حمدا لا يحصيه سواه لكمال صفاته وكثرتها، ولأجل هذا لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه لما له من صفات الكمال ونعوت الجلال التي لا يحصوها سواه" (١٢٦). إضافة لما ذكر من أسمائه "الله، والرب، والرحمن، والرحيم والمالك، والملك" وهي متضمنة لصفة الإلهية، والربوبية، والرحمة، والملك"، وعلى هذه الأربع مرجع الأسماء الحسني والصفات العليا إليها، ومدارها عليها" (١٢٧)، فهو المحمود في إلهيته وربوبيته ورحمته، والثناء والمجد كمالان لجده" (١٢٨).

وهو متضمن الإيمان بالملائكة والنبوات والكتب، لأنها الوسائط بين المعبود والعباد، فالملائكة والأنبياء هم صفوة العالمين الذين رهم الله، وقمة المنعم عليهم في قوله (الذين أنعمت عليهم)،

وكونه إلها فإن ذلك مستلزم كونه معبودا مطاعا ولا سبيل إلى معرفة ما يعبد به ويطاع إلا من جهة رسله وكتبه و"كونه رب العالمين فلا يليق به أن يترك عباده سدي هملا لا يعرفهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وما يضرهم فيهما فهذا هضم للربوبية ونسبة الرب تعالى إلى مالا يليق به وما قدره حق قدره من نسبة إليه، كما لا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا من طريق رسله، وكذلك فإن رحمته تمنع إهمال عباده وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالمهم فمن أعطي اسم الرحمن حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتب أعظم من تضمنه إنزال الغيث وإنبات الكأ وإخراج الحب، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضاءها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح، لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الأسم حظ البهائم والدواب، وأدرك منه أولو الأبواب أمراً وراء ذلك، وكذلك ذكر يوم الدين فإنه اليوم الذي يدين الله العباد فيه بأعمالهم فيثيبهم علي الخيرات ويعاقبهم علي المعاصي والسيئات، وما كان الله ليعذب أحدا قبل إقامة الحجة عليه، والحجة إنما قامت برسله وكتبه، وبهم استحق الثواب والعقاب، وبهم قام سوق يوم الدين وسبق الأبرار إلي النعيم والفجار إلي الجحيم..." (١٢٩) ، والإيمان بالقرآن كذلك متضمن في قوله تعالى: "الصراط المستقيم" وهو القرآن في أحد الأقوال، وسؤال الهداية يستلزم الإيمان به، إذ لا يؤمن بشيء لا يسأل الهداية إليه، والإيمان به يستلزم الإيمان بجميع كتب الله عزوجل ، لأنه موافق مصدق لها أمر بالإيمان بها، كما هو متضمن للإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم لأن الهداية إلي الصراط المستقيم بدونه ممتنع.

كما هي متضمنة الإيمان بالقدر: ففي قوله عز وجل : (إياك نعبد وإياك نستعين) قوله "نعبد" رد على الجبرية الذين ينفون إرادة العبد ومشيتته، ففاعل العبادة ومختارها هنا هو العبد "وإياك نعبد وإياك نستعين" رد على القدرية الذين يرون أن العبد هو الذي خلق فعل نفسه بدون إرادة الله، لأن استعانة العبد تدل على أن مشيئة العبد غير نافذة إلا بإذن الله وتوفيقه، والإعانة على عبادته منه، والاستعانة به والهداية إليه، وأن الكل بقضاء الله وقدره (١٣٠).

المحور الثاني: التعريف بكيفية عبادة الله:

المحور الثاني في هذه السورة التعريف طريق العبودية، وذلك من خلال قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، فهي ترسم طريق العبودية الذي يقوم على إخلاص العبادة لله، والاستعانة به في عبوديته وسائر الأحوال، والاستقامة علي نهجه القويم.

والعبادة المقبولة تحتاج إلى خلاص للمعبود، واستقامة في العبادة كما قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (الكهف: ١١٠)، ف "إياك نعبد" تجعل كل حركات العباد لله خالصة كما قال تعالى {قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (١٦٢) لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين} (الأنعام: ١٦٢-١٦٣)، وهي تحقيق معنى لا إله الا الله، لأن معناها مركب من أمرين: نفي وإثبات. فالنفي: خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، والإثبات: إفراد رب السماوات والأرض وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع. وقد أشار إلى النفي من لا إله إلا الله بتقديم المعمول الذي هو {إِيَّاكَ} وقد تقرر في الأصول في مبحث دليل الخطاب الذي هو مفهوم المخالفة، وفي المعاني في مبحث القصر: أن تقديم المعمول من صيغ الحصر. وأشار إلى الإثبات منها بقوله: {نَعْبُدُ} (١٣١)، والاستقامة في قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} "تضمن جميع شرائع الدين من عبادات والتي علي رأسها الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها، ومعاملات من نكاح وطلاق وبيع وشراء وغيره، وأخلاق، وعقيدة وأحكام، وأوامر ونواهي، لأن الاستقامة علي الصراط المستقيم" متضمن معرفة الحق، ومحبته، وإيثاره وتقديمه علي غيره، والانقياد له، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه بحسب الإمكان والحق هو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما جاء به علما وعملا... وما لم يكن كذلك فهو من صراط أهل الغضب والضلال فما ثم خروج عن هذه الطرق الثلاث" (١٣٢)، وكذلك التصريح بلفظ التَّعْبُدِ "نعبد" الذي يفيد التكليف الموجب لوجود الأحكام علي المكلفين.

والعبد الموفق في عبوديته يحتاج استعانة باله كما قال تعالى حاكياً عن شعيب عليه السلام: {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (هود: ٨٨)، ف"إياك نستعين" هل تذكر العبد بحاجته إلى الله في كل سكناته: "فالعبد يفتقر إلى الله من جهة أنه معبوده الذي يحبه حب إجلال وتعظيم، فهو غاية مطلوبة ومراده ومنتهى همته، ولا صلاح له إلا بهذا... والإنسان فقير إلى الله من جهة عبادته له، ومن جهة استعانته به" (١٣٣)، وهو كما انه فقير إلى الله دائماً. في إعانته وإجابة دعوته وإعطاء سؤاله وقضاء حوائجه - فهو فقير إليه في أن يعلم ما يصلحه وما هو الذي يقصده ويريده، وهذا هو الأمر والنهي والشريعة" (١٣٤) وأنه لا يمكنه الإتيان حتى بعبادته إلا بإعانة الله.

فمن عرف أن العبادات ينبغي أن تكون خالصة لله وفق صراطه المستقيم، مع الاستعانة به للتوفيق في عبوديته عرف أسس العبودية التي بها يكون القبول والتوفيق، لأن الدين في أساسه عبودية صالحه لله، وتوكل كامل علي الله، كما قال تعالى: {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} (هود: ١٢٣) فالإخلاص في عبوديته أعظم أسباب القبول، والاستعانة بالله أعظم أسباب التوفيق، والهداية إلى صراطه المستقيم هي نور الطريق.

المحور الثالث: بيان مآل من عبد الله ومن أعرض أو انحرف عن عبادته:

ولما كانت النفوس تتطلع للنتائج والمآلات جاء الحديث عن اليوم الآخر وجزاء العباد بأعمالهم حسنهم وسيئهم، وتفرد الرب تعالى الحكم العدل بالحكم في ذلك اليوم بين الخلائق، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: (مالك يوم الدين) وهو يوم الجزاء الذي يدين الله فيه العباد بأعمالهم خيراً وشرّاً، وهذا لا يكون إلا بعد ثبوت الرسالة والنبوة، وقيام الحجة التي بسببها يدان المطيع والعاصي، كما قال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} (الإسراء: ١٥)، والجزاء مستلزم للتكليف بأحكام الأفعال المجازي عليه من إيجاب وحظر وكراهة وندب، ويدخل في ضمن هذا بيان حقيقة الدنيا التي ليست دار قرار، والموت وما يليه، ويوم القيامة وما يحويه، والمنزل الذي يستقر فيه كل فريق، ويدخل في هذا الجنس

الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، لأن صفة الإنعام تقتضي ترتب الوعد صفتي الغضب والضلال تقتضيان ترتب الوعيد عليهما، ومنه الإخبار عن الناجين والهالكين وأحوالهم وما أدي إليه حاصل أعمالهم في الدنيا والآخرة، وهذا يشمل كل قصص القرآن الكريم.

ولما كان موقف الناس من معرفة الحق والعمل به مختلفاً قسمهم الله في هذه السورة إلى ثلاثة أقسام، لا يخرج منها أحد البتة " لأن العبد إما أن يكون عالماً بالحق أو جاهلاً به، والعالم بالحق إما أن يكون عاملاً بموجبه أو مخالفاً له، فهذه أقسام المكلفين لا يخرجون عنها البتة، فالعالم بالحق العامل به هو المنعم عليه، وهو الذي زكي نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وهو المفلح، قد أفح من زكائها، والعالم به المتبع هواه هو المغضوب عليه، والجاهل بالحق هو الضال والمغضوب عليه ضال عن هداية العمل والضال مغضوب عليه لضلاله عن العلم الموجب للعمل فكل منهما ضال مغضوب عليه ولكن تارك العمل بالحق بعد معرفته به أولى بوصف الغضب وأحق به^(١٣٥) وقد جاء تفاصيل هذه الأقسام وقصصهم وأخبارهم في سور وآيات عديدة في كتاب الله قاربت الثلث، فإن كل من مضى من البشرية وأخبر الله عنهم في كتابه فهم إما أن يكونوا: منعماً عليهم وهم المهتدون، هم من علموا الحق وعملوا به فأنعم عليه بالهداية التامة علماً بالصراط المستقيم وعملاً به، أو مغضوباً عليهم وهم من عرفوا الحق ثم لم ينقادوا له وجحدوه فغضب الله عليهم وهم اليهود ومن شاكلهم، أو ضالين وهم من ضلوا في معبودهم أو عبادتهم، أو هم الذين عملوا بلا علم وعبدوا الله علي جهل وهم النصارى ومن شاكلهم، وهذا يشمل كل قصص القرآن الكريم وأخبار الأولين والآخرين.

فهذه المحاور الثلاثة لسورة الفاتحة تتضمن مقاصد القرآن الأساسية، وغيرها تكملات لها، وبمعرفة هذه المقاصد الثلاثة تعرف المقاصد العليا للقرآن الكريم، ويسهل فهم آياته، ويتحقق صلاح الفرد والجماعة الذي لا يمكن تحقيقه إلا وفق معرفة المعبود الحق جل جلاله وطريق عبوديته، وعاقبة من عبده ومن عصاه، ومن خلال ذلك يحصل تهذيب السلوك الظاهرة والباطنة، ويعم العدل والصلاح في الفرد والجماعة.

المطلب الثالث: العلاقة بين الموضوع الرئيس والمحاور الفرعية

للوصول للوحدة الموضوعية في السورة قمت بتدبر آياتها كل آية علي حدة، ثم كشفت عن وجه التناسب بينها وكذلك بين كلماتها، ثم قمت بتحديد الموضوع الرئيس في السورة، ثم بتحديد الموضوعات الفرعية، ثم بينت في هذا المطلب أوجه الترابط بين موضوعات السورة للوصول للوحدة الموضوعية لهذه السورة العظيمة بحيث تلتقي الموضوعات الفرعية مع الموضوع الرئيس ممثلة لحملة واحدة للسورة.

وإذا كان موضوع السورة الرئيس هو تحقيق العبودية الخالصة لله فمن المناسب أن تكون محاور السورة في بيان صفات المعبود بحق عزوجل، وفي بيان طريق عبوديته، وفي بيان عاقبة من عبده ومن عصاه في الدنيا والآخرة حيث الإنعام والغضب.

ولما كانت أركان العبودية تقوم علي ثلاثة أمور وهي المحبة والخوف والرجاء جاء ترتيب آيات سورة الفاتحة "مرتبطاً بأركان التعبد القلبية التي لا قبول لأي عبادة إلا بها وهي المحبة والخوف والرجاء، فكل من عبد الله فقد بني عبوديته علي محبته لله وخوفه منه ورجاؤه فيه، فالمحبة تنبع من قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، وذلك من خلال فهم العبد لكمال صفاته، وتمام نعمته علي عباده، ومن أعظم ذلك خلقهم وهدايتهم لنيل رضوانه، والكمال يحب علي قدر كمال صفته، والمنعم يحب علي قدر إنعامه، والرجاء في قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} فمن أدرك سعة رحمته لم يقطع رجاءه عن ربه وكان دائماً حسن الظن بخالقه، والخوف في قوله تعالى: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} إذ هو المتصرف وحده في يوم الجزاء، وهذه الأمور الثلاث: المحبة والرجاء لثوابه والخوف من عقابه هي أركان العبادة الصحيحة التي لا يجوز ان يعبد الله بواحد منها دون غيرها" (١٣٦).

ولما كانت العبودية قائمة علي بيان ومعرفة كمال المعبود الخالق وعزته وكبريائه وغناه، ونقص العابد المخلوق وضعفه وفقره إلي معبوده وحاجته المطلقة لخالقه، جاءت سورة الفاتحة محتوية علي ذلك "فقوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} جمعت عز الربوبية،

وأنه هو الإله المستولي علي كل أحوال الدنيا والآخرة، {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥} اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ { يدل علي ذل العبودية ، فإنه يدل علي أن العبد لا يتم له شيء من الأعمال الظاهرة ولا من المكاشفات الباطنة إلا بإعانة الله تعالى وهدايته" (١٣٧) . فعلم العبد بصفات ربه هي من أعظم الطرق لحسن عبوديته وكمال الافتقار إليه والذل والخضوع بين يديه، فمن عرف ربه بكمال غناه عرف نفسه بكمال فقره، ومن عرف ربه بكمال قدرته، عرف نفسه بكمال عجزه، ومن عرف ربه بتمام عزته عرف نفسه بكمال مسكنته، ومن عرف ربه بكمال علمه عرف نفسه بكمال جهله، ومن عرف قرب ربه عرف بعد غيره عنه، ومن عرف كمال ملكه عرف ضعف ملك غيره، وهكذا.

ولما كانت خلاصة العبودية تخلص جميع الأمور لله فقد جعلت هذه السورة الحمد كله لله فجميع المحامد مختصة به، وهو المحمود في كل حال، والربوبية الكاملة لله فلا يخرج شيء عنها، والرحمة الشاملة لله فوسع كل شيء برحمته، والمملك الكامل لله فهو مالك الدنيا والآخرة، والعبودية الخالصة لله فلا يشرك معه أحد، والاستعانة الكاملة بالله، فهو الذي لا يستغني عنه مخلوق في الأرض ولا في السماء ولا بينهما، والهداية التامة من الله علماً وعملاً، فهو الذي بيديه الخلق والأمر وإليه المعاد والمنقلب.

ولما كانت العبودية لا تكون إلا باعتقاد وقول وفعل جاءت سورة الفاتحة مشتملة علي ذلك فالاعتقاد بالجنان والثناء علي الله باللسان بارز في قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، والانقياد الكامل له بالجوارح والأركان طاعة واستسلاماً من خلال قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} اشتغال بالخدمة والعبودية، "إلا أن الابتداء وقع بقوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} وهو إشارة إلي الجد والاجتهاد في العبودية، ثم قال : {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وهو إشارة إلي اعتراف العبد بالعجز والذلة والمسكنة والرجوع إلي الله" (١٣٨) .

ولما كانت العبودية الحققة قائمة على أخبار تتطلب الإيمان والتصديق، واحكام تتطلب الانقياد والتسليم، جاءت سورة الفاتحة مشتملة على ذلك: "وهي سورة أولها لله وآخرها للعبد ووسطها

مشارك بينهما كما جاء في الحديث القدسي، كما هي سورة أولها رحمة، ووسطها هداية، وآخرها نعمة، وهو ترتيب مبني بعضه على بعض، فمن رحمه الله هداة، ومن هداة فقد أنعم عليه" (١٣٩).

"وهذه السورة لشدة وحدتها الموضوعية قال العلماء لا تقبل التنصيف... قال الثعلبي (ت: ٤٢٧) وهو يبين سبب تسميتها بالوافية: "وتفسيرها أنها لا تقبل التنصيف، ألا ترى أن كل سورة من القرآن لو قرئ نصفها في ركعة والنصف الثاني في ركعة أخرى لجاز، وهذا التنصيف غير جائز في هذه السورة" (١٤٠).

وبهذا يظهر لنا الترابط الدقيق بين محاور السورة، وموضوعها الرئيس، وقد جمعت سورة الفاتحة من خلال محورها الرئيس ومحاورها الفرعية مقاصد القرآن الكبرى التي هي تعريف الخلق بخالقهم، وبيان طريق عبوديته، ثم بيان عاقبة من عبده ومن تمرد عن عبوديته، فهي متعانقة في موضوعاتها، وآياتها وكلماتها، بل متعانقة مع جميع سور القرآن الكريم، وذلك لأنها مشتملة على مقاصد القرآن الكلية من حيث الإجمال، ثم جاء باقي القرآن يبين ذلك في رتبة ثانية من البيان.

المبحث الخامس

تأملات في سورة الفاتحة وفق وحدتها الموضوعية

هذه السورة تحمل الكثير من الفوائد والأحكام، والحكم والأسرار، ولكن سوف اكتفي هنا ببعض الحكم والأسرار التي ترتبط بالمعاني الكلية في السورة وفق وحدتها الموضوعية:

الوقف الأولي: مع أسماء الفاتحة وصفاتها: أسماء سورة الفاتحة وصفاتها متناسقة مع مضمونها، تستحق أن تسمى "فاتحة الكتاب" لأنها عنوان الكتاب المجيد ومدخله للتلاوة والفهم، كما سميت "أم القرآن، وأم الكتاب، والقرآن العظيم"؛ لأن معانيه راجعة إليها، وهي سورة الحمد لأنها تثبت الحمد الكامل لله بأجمع أسمائه وصفاته، وهي سورة الصلاة لأنها ركنها الأعظم، وهي شافية كافية واقية، وهي أساس لما سواها إلى غير ذلك من أسماء وصفات، يقول الإمامي البقاعي: "إن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه بعنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما

فيه، وذلك هو الذي أنبأ به آدم عليه الصلاة والسلام عند العرض علي الملائكة عليهم الصلاة والسلام، ومقصود كل سورة هاد إلي تناسبها، ولا يخرج عن معاني كلماتها، فالفاتحة أسمها "أم الكتاب" و"الأساس" و"المثاني" و"الكنز" و"الشافيه" و"الكافيه" و"الوافيه" و"الواقيه" و"الرقية" و"الحمد" و"وال شكر" و"الدعاء" و"الصلاة" فمدار هذه الأسماء كما تري على أمر خفي كاف لكل مراد، وهو المراقبة التي سأقول إنها مقصودها، فكل شيء لا يفتتح بها لا اعتداد به، وهي كنز لكل شيء، شافية لكل داء، كافية لكل هم، وافيه بكل مراد، واقية من كل سوء، رقية لكل ملم، وهي إثبات للحمد الذي هو الإحاطة بصفات الكمال، وللشكر الذي هو تعظيم المنعم، وهي عين الدعاء فإنه التوجه إلى المدعو، وأعظم مجامعها الصلاة^(١٤١)، فهي قد جمعت من خلال أسمائها وصفاتها التي ذكرها علماء السلف كل ما تضمنته من علم وعمل.

الوقفه الثانية: مع فضائل سورة الفاتحة: من خلال التأمل في فضائل سورة الفاتحة تبين للبحث عظم ثواب قراءتها وتعلمها، لأنها متضمنة لمعاني جميع القرآن الكريم وأسراره، وإذا كان خير الناس فضلاً وأجراً من يتعلم القرآن، فإن أفضل ما يتعلمه العبد من القرآن سورة الفاتحة، وهي أعظم ما يحفظ من القرآن الكريم، بل لعظمتها وجلالها "أوجبها الله علي جميع المكلفين في كل ركعة من صلاتهم فرضاً ونفلاً"^(١٤٢)، وهي أعظم سورة يرقى بها المريض، ولهذا فيها من أسرار التداوي والشفاء ما ليس لغيرها، وهي السورة الوحيدة التي قسمها الله بينه وبين عبده، وجعل مناجاته بها، ولذا هي جديرة أن يمتن الله بها علي رسوله، وأن يبشر بنورها وفضلها بواسطة ملك خاص لم ينزل قبل ذلك إلي الأرض، وأن يفتح لها باب خاص من السماء، فهي أعظم ما نزل من الوحي، فهي عنوان الرسالة المحمدية وشرفها إذ ليس في الكتب المنزلة جميعاً مثلها، وهذا من سعة رحمته وفضله على هذه الأمة إذ خصهم بما لم يؤت أحد من العالمين.

الوقفه الثالثة: مع ترتيب سورة الفاتحة وعدد آياتها: لما كانت الفاتحة متضمنة لمجمل ما جاء تفصيله في سور القرآن الكريم كان من المناسب تقديمها عليهم، كما أن "افتتاحها بحمد الله سبحانه وقد

شرع في ابتداءات الأمور، وأوضح الشرع فضل ذلك، وأخذ به كل خطيب ومتكلم^(١٤٣) وجه ثاني لتقديمها، ومن روعة تقديم سورة الفاتحة ان كل سور القرآن متسلسلة في معانيها وأهدافها ورسائلها، فهي مرتبطة بما قبلها بصورة دقيقة، وتحمل في ارتباطها الكثير من الأسرار والحكم التي تكلم العلماء عن بعضها، ولا يصح ترتيبها إلا بالسورة التي جاءت قبلها في المصحف إلا سورة الفاتحة، فلو جاءت قبل أية سورة لوجدت المعنى متصلاً بل متكاملأً أيضاً، بل متعانقاً معها، لذلك فإننا نبدأ صلاتنا بالفاتحة ثم نقرأ أي سورة بعدها ويبقى المعنى متصلاً مهما كانت السورة.

ومن خلال التأمل في عدد آياتها وهي سبع آيات كما هو مجمع عليه، وهو العدد المتميز في القرآن الكريم، والمتناسق مع منظومة الكون والحياة هو سر آخر من أسرار هذه السورة، حيث جعل الله السموات سبعاً، والأرضين سبعاً، والأيام سبعاً، والأحرف التي نزل عليها القرآن سبعة، والصور الطوال سبعاً، والطواف سبعاً، والسعي سبعاً، ورمي الجمار سبعاً، ورؤية الملك التي أولها يوسف سبعاً، وريح عاد التي سخرها عليهم سبع ليال، فهذا العدد يحتاج إلى دراسة خاصة لمعرفة وجه آخر من أوجه إعجاز هذه السورة الرقمي.

الوقف الرابع: مع أسلوب سورة الفاتحة: تميزت سورة الفاتحة بجزالة أسلوبها ولطافتها، وذلك من خلال وجوه عديدة من ذلك:

حسن الافتتاح وبراعة المطلع: فإن كان أولها بسم الله الرحمن الرحيم علي قول من عدها منها، فباسم الله يبتدئ كل أمر، وإن كان أولها الحمد لله، فحمد الله والثناء عليه بما هو أهله، ووصفه بماله من الصفات العلية أحسن ما افتتح به الكلام، وقدم بين يدي النش والنظم.

أ- لطافة التكليف: في قوله تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ } الذي صيغته صيغة الخبر، ومعناه الأمر، فلم تفتتح السورة بصيغة الأمر بأن يقال: احمدا الله، وإنما افتتحت بصيغة الخبر: { الْحَمْدُ لِلَّهِ } لأن الأمر يقتضي التكليف، والتكليف قد تنفر منه النفوس أحياناً، فأراد - سبحانه - وهو ييادئهم بشريعة جديدة

وتكاليف لم يعهدوها، أن يؤنس نفوسهم، ويؤلف قلوبهم، فساق لهم الخطاب بصيغة الخبر، ترفقا بهم، حتى يديموا الإصغاء لما سيلقيه عليهم من تكاليف^(١٤٤).

ب- الالتفات في الخطاب: ولأهل البلاغة عناية بالالتفاف، لأن فيه تحديد أسلوب التعبير عن المعنى بعينه تحاشياً من تكرار الأسلوب الواحد عدة مرات فيحصل بتجديد الأسلوب بتحديد نشاط السامع كي لا يمل من إعادة أسلوب بعينه، والمراد من هنا الالتفات من الغيبة إلى الحضور في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وردت علي صيغة المخاطب بعد أن كان أول السورة بصيغة الغائب، وهو مع ما فيه من الفصاحة والبيان ليتضمن هذا الأسلوب توسل بالعبودية والتوحيد بعد التوسل بالأسماء الحسنى والصفات العلى، وهذان التوسلان لا يكاد يرد معهما دعاء، وقال العلماء: وكأن العبد لما حمد ربه وأثنى عليه ومجده وقربه وأدناه، ولذا تحول الخطاب من الغيبة إلى الحضور^(١٤٥).

ت- التصريح بعد الإبهام: وذلك في بدل "صراط الذين" من "الصراط المستقيم". قال ابن عاشور: "في قوله تعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} بدل أو عطف بيان من (الصراط المستقيم)، وإنما جاء نظم الآية بأسلوب الإبدال أو البيان دون أن يقال: "اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم المستقيم" لفائدتين: الأولى: أن المقصود من الطلب ابتداءً هو كون المهدي إليه وسيلة للنجاة واضحة سمحة سهلة، وأما كونها سبيل الذين أنعم الله عليهم فأمر زائد لبيان فضله. الفائدة الثانية: ما في أسلوب الإبدال من الإجمال المعقب بالتفصيل ليتمكن معني الصراط للمطلوب فضل تمكن في نفوس المؤمنين الذين لقنوا هذا الدعاء فيكون له من الفائدة مثل ما للتوكيد المعنوي، وأيضاً لما في هذا الأسلوب من تقرير حقيقة هذا الصراط وتحقيق مفهومه في نفوسهم فيحصل مفهومه مرتين ... ثم إن في اختيار وصف الصراط المستقيم بأنه صراط الذين أنعمت عليهم دون بقية أوصافه تمهيداً لبسط الإجابة، فإن الكريم إذا قلت له: "أعطني كما أعطيت فلاناً" كان ذلك أنشط لكرمه ... مع ما في ذلك من التعريض بطلب أن يكونوا لاحقين في مرتبة الهدي بأولئك المنعم عليهم، وتحملاً بالاعتداء بهم في الأخذ بالأسباب التي ارتقوا بها إلى تلك الدرجات، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} (المتحنة: ٦)، وتوطئة لما سيأتي بعد من التبريء من أحوال المغضوب عليهم والضالين فتضمن ذلك تفاؤلاً وتعويضاً^(١٤٦).

ث- الجمع بين الترغيب والترهيب: ولما كان من أعظم أساليب القرآن الترغيب والترهيب جاءت الفاتحة متضمنة له، فهي متضمنة الترغيب في الأعمال الصالحة ليكونوا مع الذين أنعم الله عليهم، والتنفير من الأعمال الفاسدة حتى لا يكونوا مع المغضوب عليهم والضالين وهذا متضمن العلم بالحق والعمل به.

ج/ ذكر السبب والجزاء: ومن روائع أسلوب سورة الفاتحة ذكر السبب والجزاء للطوائف الثلاثة بأوجز لفظ وأخصره، فإن الإنعام عليهم يتضمن إنعامه بالهداية التي هي العلم النافع والعمل الصالح، وهي الهدى ودين الحق، ويتضمن كمال الإنعام بحسن الثواب والجزاء فهذا تمام النعمة، ولفظ أنعمت عليهم يتضمن الأمرين، وذكر غضبه على المغضوب عليهم يتضمن أيضاً أمرين:

الجزاء بالغضب الذي موجه غاية العذاب والهوان والسبب الذي استحقوا به غضبه سبحانه، فإنه أرحم وأرأف من أن يغضب بلا جناية منهم ولا ضلال، فكأن الغضب عليهم مستلزم لضلالهم، وذكر الضالين مستلزم لغضبه عليهم وعقابه لهم فأن من ضل استحق العقوبة التي هي موجب ضلاله وغضب الله عليه، فاستلزم وصف كل واحد من الطوائف الثلاث للسبب والجزاء أبين استلزام، واقتضاء أكمل اقتضاء في غاية الإيجاز والبيان والفصاحة مع ذكر الفاعل في أهل السعادة وحذفه في أهل الغضب وإسناد الفعل إلى السبب في أهل الضلال، وتأمل المقابلة بين الهداية والنعمة، والغضب والضلال، فذكر المغضوب عليهم والضالين في مقابلة المهتدين المنعم عليهم وهذا كثير في القرآن يقرن بين الضلال والشقاء وبين الهدى والفلاح^(١٤٧).

الوقفه الخامسة مع قسمة سورة الفاتحة: من روائع هذه السورة أنها قسمت بين العبد وربّه، فثلاث آيات لله، وثلاثة للعبد، وواحدة بينهما، وكلماتها خمس وعشرون كلمة، اثني عشر منها لله ومثلها للعبد وواحدة بينهما مكررة، بل جاءت حروف سورة الفاتحة نصفين (٦٨) حرفاً لله وهي قوله تعالى:

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }، و(٦٨) حرفاً للعبد، وهذا إثبات لحديث القدسي الذي قال فيه النبي ﷺ: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل فإذا قال العبد (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قال الله تعالى حمدي عبدي وإذا قال (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) . قال الله تعالى أثني علي عبدي. وإذا قال (مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ) قال: مجدني عبدي - وقال مرة فوض إلي عبدي - فإذا قال (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل. فإذا قال (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) قال: هذا لعبدي ولعبي ما سأل (١٤٨).

الوقف السادسة: مع صفات الله جل جلاله وصفات العبد التي ذكرت في سورة الفاتحة: فقد اشتملت هذه السورة علي خمس صفات لله، وخمس صفات للعبد، فالصفات التي لله هي من صفات الربوبية، وهي: "الله والرب، والرحمن، والرحيم، والمالك"، وخمس من صفات العبد وهي: العبودية، والاستعانة، وطلب الهداية، وطلب الاستقامة، وطلب النعمة، كما قال تعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...} فانطبقت تلك الأسماء الخمسة علي هذه الأحوال الخمسة، فكأنه قيل: إياك نعبد لأنك أنت الله، وإياك نستعين لأنك أنت الرب، اهدنا الصراط المستقيم لأنك أنت الرحمن، وارزقنا الاستقامة لأنك أنت الرحيم، وأفض علينا سجال نعمك وكرمك لأنك مالك يوم الدين (١٤٩).

الوقف السابعة: مع الدعاء الذي ورد في سورة الفاتحة: من روائع سورة الفاتحة: اشتمالها علي أعظم دعاء في القرآن الكريم، وهو سؤال الله الهداية إلي الصراط المستقيم، وهي أعظم نعمة يؤتيها الله للعبد علي الإطلاق، ولذا شرعه الله بصورة مستمرة متكررة، وأمر المصلين بالتأمين علي ذلك، و(من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) (١٥٠) دلالة علي أهميته وفضله، وهو يعتبر من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد في الدين والآخرة، فإن من هدي إلي الصراط المستقيم فقد هدي لخيري الدنيا والآخرة، قال ابن القيم: "وهذا أجل مطلوب وأعظم مسؤول. ولو عرف الداعي قدر هذا السؤال لجعله هجيره وقرنه بأنفاسه، فإنه لم يدع شيئاً من خير الدنيا والآخرة إلا تضمنه، ولما كان بهذه المثابة

فرضه الله علي جميع عباده فرضاً متكرراً في اليوم والليلة لا يقوم غيره مقامه، ومن ثم يعلم تعين الفاتحة في الصلاة وإنها ليس منها عوض يقوم مقامها^(١٥١)، والاستمرارية والتكرار لتجدد الحاجة إليه، فإن الهداية إلي (الصراط المستقيم) أن يفعل العبد في كل وقت ما أمر به في ذلك الوقت من علم وعمل، ولا يفعل ما نهي عنه، وهذا يحتاج في كل وقت إلي أن يعلم ويعمل ما أمر به في ذلك الوقت وما نهي عنه، وإلي أن يحصل له إرادة جازمة لفعل المأمور، وكراهة جازمة لترك المحذور، فهذا العلم المفصل والإرادة المفصلة لا يتصور أن تحصل للعبد في وقت واحد، بل كل وقت يحتاج إلي أن يجعل الله في قلبه من العلوم والإرادات ما يهتدي به في ذلك للصراط المستقيم... فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم، وما لا نريد فعله تهاونا وكسلاً مثل ما نريده أو أكثر منه أو دونه، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك وما نعرف جملة ولا نتهدي لتفاصيله فأمر يفوت الحصر، ونحن محتاجون إلي الهداية التامة فمن كملت له هذه الأمور كان سؤال الهداية له سؤال التثبيت والدوام^(١٥٢)، ولهذا أوجب الله علي عباده أن يدعوا كل واحد بهذا الدعاء العظيم في كل ركعة من صلاته، لضرورته المستمرة إلي ذلك، لأنه لا نجاة ولا سعادة إلا به وإلا كان إما من المغضوب عليهم أو الضالين.

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج: من خلال الدراسة السابقة توصل الباحث إلي النتائج التالية:

١. دراسة الوحدة الموضوعية للسورة يوقف العبد علي عظمة هذا الكتاب وسعة معانيه، وأبرز خصائص الإعجاز التي ارتبطت بنظمه وترتيبه، وتجعل المتدبر لهذا الكتاب المجيد يستمع بصورة جمالية رائعة وفريدة للسورة القرآنية وهو يبحث عن عمودها ويكمل بين أجزائها ومعانيها، ويعانق بين كلماتها وآياتها وموضوعاتها في وحدة موضوعية واحدة تتجلي فيها الروعة والجمال، وينكشف من خلال الدقة والإحكام، ويدرك من خلاله العبد عظمة القرآن الكريم ورونقه وجماله وروعته وتباينه عن كل كلام.
٢. لم يذكر العلماء من الأسماء والصفات بمثل ما ذكر للفاتحة مما يدل علي فضلها وشرفها، وهي أسماء وصفات هادية إلي معانيها وما تحتويه من علم وعمل، ولكن الذي ثبت فيه الدليل

من أسمائها سبعة وهي: "الفاتحة، أم القرآن، أم الكتاب، السبع المثاني، القرآن العظيم، سورة الحمد، سورة الصلاة".

٣. سورة الفاتحة هي أعظم سورة في القرآن، ولم ينزل الله مثلها في كتاب، ولم يثبت في فضائل شيء من السور كما ثبت لها، وهي مما خص الله به هذه الأمة، وهي حاوية لجميع معاني القرآن وأسراره، ومن فهمها فقد فهم مقاصد القرآن الكريم، وسهل عليه معرفة باقي معانيه.

٤. من تأمل في ترتيب سورة الفاتحة ووضعها في بداية القرآن وهي متضمنة لمجمل ما جاء تفصيله في القرآن الكريم يتبين له أن ترتيب السور توفيقى، بل هذا الترتيب واحد من أوجه إعجازها. وفي جعل آيات سورة الفاتحة سبع آيات كما هو مجمع عليه، وهو العدد المتميز في القرآن الكريم والمتناسق مع منظومة الكون والحياة، لهُ سر آخر من أسرار هذه السورة التي نحتاج إلى دراسات تكشف له عن بعض أسرارها.

٦. من روائع سورة الفاتحة أنها قسمت بين العبد وربّه، فثلاث آيات لله، وثلاثة للعبد، وواحدة بينهما، كلماتها خمس وعشرون كلمة، اثني عشر منها لله ومثلها للعبد وواحدة بينهما مكررة، بل جاءت حروف سورة الفاتحة نصفين (٦٨) حرفاً لله، و(٦٨) حرفاً للعبد.

٧. هنالك تناسق وتناسب وتعانق عجيب بين كلمات وآيات سورة الفاتحة بصورة تعجز العبارات عن بيان حسنه، بما يدل دلالة قاطعة على أنه من لدن حكيم خبير.

٨. موضوع سورة الفاتحة الرئيس هو: تحقيق العبودية الخالصة لله جل جلاله.

٩. تضمنت سورة الفاتحة ثلاثة محاور أساسية وهي: المحور الأول: التعريف بالمعبود الحق جل جلاله: المحور الثاني: التعريف بكيفية عبادة الله: والمحور الثالث: بيان معرفة مآل من عبده ومن أعرض أو انحرف عن عبادته: وهي تمثل محاور القرآن الأساسية التي جاء لعلاجها.

١٠. جاءت محاور سورة الفاتحة متعاقبة مع محورها الرئيس في صورة تمثل وحدة متكاملة لا

تقبل الانفصال، بل متعاقبة مع جميع سور القرآن الكريم.

١١. من روائع سورة الفاتحة أنها جمعت خمس صفات لله مرجع الأسماء الحسني إليها، وخمس صفات للعبد مرجع العبودية الحق إليها، وهي متطابقة مع تلك الصفات.
١٢. من روائع سورة الفاتحة اشتغالها علي أعظم دعاء في القرآن الكريم، جامع لخيري الدنيا والآخرة، ولذا شرعها الله بصورة مستمرة متكررة، وأمر المصلين بالتأمين على ذلك.
١٣. تميزت سورة الفاتحة بجزالة أسلوبها ولطافته فجاء متنوعاً متفناً، بصورة تحتاج إلى دراسة مستقلة.

ثانياً: التوصيات: من خلال النتائج السابقة يوصي الباحث بما يلي:

١. أن تحظى سورة الفاتحة بمزيد عناية في التعلم والتعليم حتى ترسخ معانيها في قلوب الأمة وهم يسمعونها صباح مساء لعلها تزيدهم إيماناً وهدى، كما عليهم أن يولوها مزيد عناية في البحث والدراسة بهدف الكشف عن معانيها العظيمة.
٢. التذكير الدائم بفضل سورة الفاتحة، وفضل تعلمها وتعليمها من خلال وسائل متعددة، حتى يدرك العباد فضلها ويقبلوا علي تعلمها وحسن التدبر لكلماتها.
٣. إفرد أسماء سورة الفاتحة وصفاتها التي ذكرها العلماء بدراسة مستقلة من حيث التحقق في كل اسم ووصف ذكر، ومن قال به، وعلاقته بمعاني الفاتحة ومضامينها.
٤. دراسة جميع سور القرآن من خلال الوحدة الموضوعية وفق ضوابط محكمة، وإخراج ذلك في مشروع متكامل للأمة، يستفاد فيه من كل ما كتبه الأوائل في هذا الباب.
٥. عقد ندوة عالمية للتأصيل في موضوع الوحدة الموضوعية بصورة خاصة بما يضبط مسارات البحث في هذا العلم، لأن الباحث عانى من ضعف المعالم التي تقوم عليها الدراسة، فما جاء متفرقا في موضوع الوحدة الموضوعية يحتاج إلى جمع وتأصيل.

الهوامش

- (١) البرهان في نظام القرآن للشيخ محمد عناية الله أسد سبحاني ص ٢٢.
- (٢) انظر: التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه للأستاذ زياد خليل الدغامين ص ٢٢.
- (٣) التفشي الكبير للفخر الرازي (٦٧/٤).
- (٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٢١/١).
- (٥) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٢٠٩.
- (٦) مدارج السالكين لابن قيم الجوزي (٧/٢).
- (٧) صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني (٨/١).
- (٨) انظر: البرهان في نظام القرآن ص ٦٩.
- (٩) الموافقات للشاطبي (٤١٥/٣).
- (١٠) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٩٩.
- (١١) مصاعد النظر للبقاعي (١٤٢/١).
- (١٢) المصدر السابق (١٤٩/١، ١٥٠).
- (١٣) للوقوف على هذه الأسماء الاجتهادية ينظر: أسماء سور القرآن وفضائلها للدكتورة منيرة محمد ناصر الدوسري ص ١٣٢، فقد جمعت ما ذكره السيوطي في الإتقان والفيروز أبادي في بصائر ذوي التمييز والقرطبي ودرستها.
- (١٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الأذان، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، ح رقم ٧٥٦، مسلم في كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠٠.

(١٥) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ح رقم ٨٠٦.

(١٦) انظر: جامع البيان للطبري (١/٧٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١١١).

(١٧) انظر: روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (١/٤).

(١٨) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠١.

(١٩) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠٤.

(٢٠) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب: الرقي بفاتحة الكتاب ح رقم

٥٧٣٦، ومسلم في كتاب السلام، باب: جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار ح رقم ٦٥.

(٢١) أخرجه أحمد في المسند ح رقم ٩٧٨٩، والترمذي في سننه ح رقم ٣١٢٤، وقال: هذا

حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود ح رقم ١٤٥٧.

(٢٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي (١/٤٩)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١/١٣٣).

(٢٣) جامع البيان في تأويل القرآن (١/١٠٧).

(٢٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (١/٢).

(٢٥) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (٥/٣٦٥)، ومفاتيح الغيب للرازي (١٩/١٦٤)،

والجامع لأحكام القرآن (١٠/٥٤)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٢/٨٣٦)، وفتح القدير للشوكاني (٢٠٢/٣).

(٢٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب: فاتحة الكتاب ح رقم

٤٤٧٤.

(٢٧) نظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (١/١٠٧-١٠٩).

- (٢٨) زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن الجوزي (٤/٤١٣).
- (٢٩) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس (١/١٨)، تفسير البغوي (١/١)، ومفاتيح الغيب للرازي (١/١٥٩).
- (٣٠) أخرجه أحمد في مسنده ح رقم ٨٦٦٧، والنسائي في السنن الكبرى ح رقم ٤٣١٦، والترمذي ح رقم ٢٨٧٥، والبيهقي في السنن الكبرى ح رقم ٤١٢٤، والحاكم في المستدرک ح رقم ٢٥٨، وقال: هذا حديث صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
- (٣١) بصائر ذو التميز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (١/١٢٨).
- (٣٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب: فاتحة الكتاب ح رقم ٤٤٧٤.
- (٣٣) زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن الجوزي (٤/٤١٣).
- (٣٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ح رقم ٢٤٨٦، والدار قطني في سننه ح رقم ١٢٠٢، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع ح رقم ٧٢٩.
- (٣٥) مفاتيح الغيب للرازي (١/١٥٦)، وتحقيق تفسير الفاتحة لابن رجب (١/٦).
- (٣٦) تحقيق تفسير الفاتحة لابن رجب (١/١٣).
- (٣٧) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠٤.
- (٣٨) الإتيان في علوم القرآن (١/١٣٥).
- (٣٩) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٤/٤٤).
- (٤٠) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١/٢٤٧)، وتفسير أبي السعود (١/٨).

- (٤١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١١٠).
- (٤٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١٦/١٢٤).
- (٤٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ح رقم ٨٠٦.
- (٤٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن، باب: فاتحة الكتاب ح رقم ٤٤٧٤.
- (٤٥) فتح الباري (٩/٥٤).
- (٤٦) الجامع لأحكام القرآن (١/١١٠).
- (٤٧) أخرجه احمد في مسنده ح رقم ٨٦٦٧، والنسائي في السنن الكبرى ح رقم ٤٣١٦، والترمذي ح رقم ٢٨٧٥، والبيهقي في السنن الكبرى ح رقم ٤١٢٤، والحاكم في المستدرک ح رقم ٢٥٨، وقال: هذا حديث صحيح علي شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
- (٤٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١١٠).
- (٤٩) تحقيق تفسير الفاتحة لابن رجب (١/١٨)، اللباب في علوم الكتاب (١/١٦٤).
- (٥٠) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠٤.
- (٥١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠١.
- (٥٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠٤.
- (٥٣) في ظلال القرآن لسيد قطب (١/١).
- (٥٤) تحقيق تفسير الفاتحة لابن رجب (١/١٩).

- (٥٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب: الرقي بفاتحة الكتاب ح رقم ٥٧٣٦، ومسلم في كتاب السلام، باب: جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار ح رقم ٦٥.
- (٥٦) تفسير البغوي (١/١).
- (٥٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٥/١)، ونقل الإجماع غير واحد منهم الفيروز آبادي في كتابه بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز (١٢٨/١).
- (٥٨) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٤/١).
- (٥٩) جامع البيان في تأويل القرآن (١٠٩/١).
- (٦٠) أحكام القرآن لابن العربي (٨/١).
- (٦١) وقد بدأت (بالحمد لله)، لأن الباحث يرجح أن البسملة ليست آية من الفاتحة، وإنما هي آية للفصل بين السور، ولو كانت آية منها ما اختلف فيها فإن القرآن لا يختلف فيه، ولما ترك السلف قراءتها، وغير ذلك من أدلة أفردنا لها بحثاً خاصاً، انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٦/١)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٣٧/١).
- (٦٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣٩/١)، والتحرير والتنوير ١٥٤/١.
- (٦٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (١٣٩/١)، وزاد المسير (١١/١)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (٣٩/١).
- (٦٤) انظر: جامع البيان (١٤٣/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤١/١).
- (٦٥) انظر: تفسير الطبري (١٣٧/١ - ١٤٤)، وتفسير البغوي (٥٢/١)، وتفسير القرطبي (١٣٨/١)، وتفسير ابن كثير (٤٣/١)، وفتح القدير للشوكاني (٨٦/١).
- (٦٦) انظر: الدار المنثور للسيوطي (٢٦/١) وفتح القدير (٨٧/١).
- (٦٧) انظر: تفسير الرازي (١٦٦/١)، وتفسير ابن كثير (١٣١/١)، وتفسير السعدي ص

- (٦٨) أخرجه ابن ماجة في سننه ح رقم ٣٨٠٣، والبيهقي في شعب الإيمان ح رقم ٣٤٧٥، والحاكم في المستدرک رقم ١٨٤٠، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح رقم ٢٦٥.
- (٦٩) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء ح رقم ٥٥٦.
- (٧٠) تفسير ابن كثير (١٠٧/١)، وزاد المسير (٩/١).
- (٧١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٥/١).
- (٧٢) التحرير والتنوير (١٧٢/١).
- (٧٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠٥/١)، وتفسير المنار ٤٣/١.
- (٧٤) أخرجه أبو داود في سننه ح رقم ٤٩٤١، والبيهقي في السنن ح رقم ١٧٦٨٣ والترمذي في سننه ح رقم ١٩٢٤ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.
- (٧٥) انظر: تفسير الطبري (ج ١/١٢٧)، تفسير ابن كثير (ج ١/١٢٤)، تفسير القرطبي (ج ١/١٠٥)، تفسير البيضاوي (٣/١)، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير الأحكام (١١/١).
- (٧٦) تفسير السمرقندي المسمى "بحر العلوم" لأبي الليث السمرقندي (٣٨/١).
- (٧٧) تقريب النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص ٣٧.
- (٧٨) انظر: فتح القدير (٩/١).
- (٧٩) انظر: تفسير المنار (٤٩/١).
- (٨٠) انظر: فتح الرحيم الملك العلام في علوم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن للسعدي ص ٢٦، ٢٧.
- (٨١) تفسير القرآن الكريم لمحمد بن صالح العثيمين "الفاتحة - البقرة" (١٢/١).

- (٨٢) تفسير ابن كثير (١/١٢٠).
- (٨٣) تفسير المنار (١/٥٤).
- (٨٤) التحرير والتنوير (١/١٨٤).
- (٨٥) اللباب في علوم الكتاب (١٢/٣٣٤).
- (٨٦) انظر: نكت القرآن الدالة علي البيان في أنواع العلوم والأحكام للإمام الحافظ محمد ابن علي الكرجي القصاب، تحقيق الدكتور علي بن غازي التويجري (١/٨٨).
- (٨٧) تفسير البغوي (١/٥٤).
- (٨٨) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزي (٣/٥٩).
- (٨٩) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزي (٣/٤٧).
- (٩٠) جامع البيان في تأويل القرآن (١/١١٨).
- (٩١) تفسير الرازي (١/٢٥٩).
- (٩٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين: باب : ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع ح رقم ١٠٩٩.
- (٩٣) انظر: طبقات فحول الشعراء للجزمحي (١/٣٦)، والتحرير والتنوير (١/١٥٤).
- (٩٤) التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي (١/٤).
- (٩٥) انظر: التحرير والتنوير (١/١٧٣).
- (٩٦) التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١/٥).
- (٩٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/١٣٩).

- (٩٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه ح رقم ٧١٥٥.
- (٩٩) تفسير المنار (٤٦/١).
- (١٠٠) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٨٨/١).
- (١٠١) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن (١٣٢/١، ١٣٣).
- (١٠٢) التحرير والتنوير (١٧٤/١).
- (١٠٣) التحرير والتنوير (١٧٤/١).
- (١٠٤) التحرير والتنوير (ج ١٧٣/١، ١٧٤)، انظر: تفسير المنار (٥١/١).
- (١٠٥) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٩/١).
- (١٠٦) انظر: التحرير والتنوير (١٨٣/١).
- (١٠٧) التحرير والتنوير (١٨٢/١).
- (١٠٨) أحكام القرآن لابن العربي (٥/١).
- (١٠٩) فتح القدير للشوكاني (٣٩/١).
- (١١٠) انظر: فتح القدير للشوكاني (٤٠/١)، وتفسير المنار ٥٥/١، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣٩/١)، والتحرير والتنوير (١٨٦/١)، الوسيط لسيد طنطاوي (٦/١).
- (١١١) التحرير والتنوير (١٨٦/١).
- (١١٢) تفسير القرآن الكريم محمد بن صالح العثيمين (١٦/١).
- (١١٣) جامع البيان في تأويل القرآن (١٦٨/١).

- (١١٤) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزي (٤٩/٣).
- (١١٥) فتح القدير للشوكاني (٤٣/١).
- (١١٦) تحقيق تفسير الفاتحة (١٩/١).
- (١١٧) مجموع فتاوي ابن تيمية (٣٦٢/٢).
- (١١٨) المصدر السابق (٧/١٤).
- (١١٩) مدارج السالكين (٩٥/١).
- (١٢٠) المصدر السابق (١٣/١ - ١٤).
- (١٢١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٩٠/١).
- (١٢٢) مجموع فتاوي ابن تيمية (٣٦١/٢).
- (١٢٣) التحرير والتنوير (١٣٥/١).
- (١٢٤) تفسير الرازي (١٦٣/١).
- (١٢٥) انظر: مدارج السالكين لابن القيم الجوزي (١٢/٣).
- (١٢٦) مدارج السالكين لابن القيم الجوزي (٢/٣).
- (١٢٧) مدارج السالكين لابن القيم الجوزي (٧/٢).
- (١٢٨) انظر: تحقيق تفسير الفاتحة لابن رجب (١٩/١).
- (١٢٩) انظر: تفسير البحر المحيط أبو حيان الأندلسي (١٤/١)، ومدارج السالكين لابن قيم الجوزي (١٤/٢).

- (١٣٠) انظر: تفسير الرازي (١٦٦/١)، وتفسير السعدي (٣٩/١)، وبدائع الفوائد لابن قيم الجوزية (١٧٠/١)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣٩/١)، والتحريير والتنوير (١٣٣/١)، وتفسير المنار (٣٧/١)، وإيضاح البيان عن معني أم القرآن (١٢/١ - ١٤).
- (١٣١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٦/٢).
- (١٣٢) انظر: مدارج السالكين (٥٨/١)، إيضاح البيان عن معني أم القرآن (١٨/١).
- (١٣٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (١٧/١).
- (١٣٤) مجموع الفتاوي لابن تيمية (٣٥/١٤).
- (١٣٥) مدارج السالكين لابن قيم الجوزي (٨/٢).
- (١٣٦) التحريير والتنوير (١٧٦/١، ١٧٧).
- (١٣٧) انظر: تفسير الرازي (١٥٧/١، ١٥٨).
- (١٣٨) تفسير الرازي (١٥٧/١).
- (١٣٩) إيضاح البيان عن معني أم القرآن (٢٠/١).
- (١٤٠) تفسير الرازي (١٥٩/١).
- (١٤١) نظم الدرر (١٢/١).
- (١٤٢) تيسير المنان في خلاصة تفسير القرآن للسعدي ص ١٢.
- (١٤٣) البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي ص ٨٤.
- (١٤٤) الوسيط لسيد طنطاوي (٣/١).
- (١٤٥) انظر: بدائع الفوائد (١٣٠/١)، والتحريير والتنوير (١٦٩/١).
- (١٤٦) التحريير والتنوير (١٩٢/١).

- (١٤٧) مدارج السالكين لابن قيم الجوزي (١٢/٢).
- (١٤٨) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ح رقم ٩٠٤.
- (١٤٩) تفسير الرازي (٢٦١/١).
- (١٥٠) رواه البخاري في صحيحه كتاب: الأذان، باب: جهر المأموم بالتأمين ح رقم ٧٨٢، ومسلم في كتاب الصلاة، باب: التسميع والتحميد والتأمين ح رقم ٩١٥.
- (١٥١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزي (٣٠٥/٣).
- (١٥٢) انظر: مدارج السالكين لابن قيم الجوزي (١/٢)، وتفسير السعدي ص ٣٩.

فهرس المراجع

١. الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٢. أحكام القرآن، لابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط: دار الفكر للطباعة، بيروت، بدون.
٣. أسماء سور القرآن وفضائلها، للدكتورة منيرة محمد ناصر الدوسري، ط: دار ابن الجوزي، الدمام ط ١٤٢٦ هـ.
٤. أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، ط: دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٥ هـ.
٥. إمعان النظر في نظام الآي والسور، محمد عناية الله سبحاني، ط: دار عمار، عمان ط ١٤٢٤ هـ.
٦. إيضاح البيان عن معني أم القرآن ، سليمان بن عبد القوي الطوفي، المصدر: موقع مكتبة صيد الفوائد <http://www.saaaid.net/book/index.php> .
٧. بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمر قندي، تحقيق د.محمود مطرجي، ط: دار الفكر، بيروت، بدون.
٨. البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، طبعة جديدة بعناية زهير جعيد، ط: دار الفكر، بيروت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٩. بدائع الفوائد، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق علي بن محمد العمران، ط: دار عالم الفوائد، مكة، ط ١ / ١٤٢٥ هـ.
١٠. البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، تحقيق د/ سعيد بن جمعة الفلاح، طبعة: دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ.
١١. البرهان في نظام القرآن في الفاتحة والبقرة وآل عمران، للدكتور محمد عناية الله أسد سحاني، ط: دار عمار، عمان، ط ١ / ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٢. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، ط: المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة بدون تاريخ.
١٣. تحقيق تفسير الفاتحة لابن رجب، سامي بن محمد جاد الله، المصدر : موقع مكتبة صيد الفوائد <http://www.saaaid.net/book/index.php>.
١٤. التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت/ الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
١٥. تفسير أبي السعود لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، ط: دار إحياء التراث، بيروت، بدون.
١٦. تفسير البغوي معالم التنزيل للإمام محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله نمر، ود. عثمان جمعة، وسليمان مسلم، ط: دار طيبة، الرياض، ط ١ / ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
١٧. تفسير التحرير والتنوير للإمام محمد بن الطاهر عاشور، ط: دار سحنون، تونس، بدون.

١٨. تفسير القاسمي المسمي محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١ / ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
١٩. تفسير القرآن الكريم "سورة الفاتحة - البقرة" الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط: دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١ / ١٤٢٣ هـ.
٢٠. تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير الدمشقي، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠١ هـ.
٢١. تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، تعليق وتصحيح سمير مصطفى رباب، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت ط ١ / ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٢٢. التفسير الموضوعي ومنهجية البحث فيه للأستاذ زياد خليل الدغامين، ط: دار عمان، عمان ط ١١٤٢٨ هـ.
٢٣. تقريب النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد بن علي ابن الجزري، ط: ١٥٢ دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
٢٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر ابن السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٥. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن لعبد الرحمن بن ناصر ابن السعدي، ط: إدارة المطبوعات القصيم، ط ٢، ١٤٠٩ هـ.
٢٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، ط: دار الفكر، بيروت ١٤٠٥ هـ.
٢٧. الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق محمد إبراهيم الخناوي ومحمود وحامد عثمان، ط: دار الحديث، القاهرة، طبعة: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٢٨. الدر المنثور لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ط: دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣ م.
٢٩. روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار النشر/ دار إحياء التراث العربي، بدون.
٣٠. زاد المسير لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط: المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣/١٤٠٤ هـ.
٣١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشئ من فقهها لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: المكتب الإسلامي، دمشق، ١٤٠٥ هـ.
٣٢. سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، ط: المكتبة العصرية، بيروت، بدون.
٣٣. سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ط: إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.
٣٤. سنن الترمذي لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي ط: دار الكتب العلمية، بيروت، بدون.
٣٥. سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، بدون.
٣٦. السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين ابن علي البيهقي، مؤلف الجوهر النقي، علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الأولى-١٣٤٤ هـ.

٣٧. سنن النسائي لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، ط: دار البشائر الإسلامية، ط/ ١٩٨٦م.
٣٨. صحيح البخاري لمحمد بن أسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- الرياض ١٤٠٠هـ.
٣٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض ١٤٠٠هـ.
٤٠. صحيح مسلم بشرح النووي ليحيى بن شرف بن مري الحواري النووي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٤١. صحيح وضعيف الجامع وزيادته لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١٣٩٩/٢هـ.
٤٢. صحيح وضعيف سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني، ط: مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، بدون.
٤٣. صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، ط: عالم الكتب، بيروت، بدون.
٤٤. طبقات فحول الشعراء، المصدر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية <http://www.almeshkat.net>
٤٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق علي بن عبد العزيز الشبل، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٤٦. فتح الرحيم الملك العلام في علوم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ط: دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية، ط ١، ١٤٢١هـ.

٤٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي ابن محمد الشوكاني تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، ط: دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٤٨. في ظلال القرآن لسيد قطب، ط: دار الشروق، القاهرة، ط ٨ / ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٤٩. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ط: دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٠. اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ط ١ / ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٥١. مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، طبعة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
٥٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
٥٣. المستدرک علي الصحيحين للحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ط: دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
٥٤. مسند الإمام أحمد للإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ط: المكتب الإسلامي - بيروت، ط / ١٩٨٥ م.

٥٥. مصاعد النظر للإشراف علي مقاصد السور للبقاعي تحقيق: عبد السميع محمد حسنين، ط "مكتبة المعارف - الرياض ١٤٠٨ هـ.
٥٦. معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د/ يحيى مراد، ط: دار الحديث، القاهرة، سنة ط/ ١٤٢٥ م.
٥٧. مفاتيح الغيب للإمام العالم العلامة والخبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٥٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ليحيى بن شرف النووي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ / ١٤٢١ هـ.
٥٩. الموافقات لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، دراسة وتحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط: دار ابن عفان، ط ١ / ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
٦٠. النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز، اعتني به وخرج أحاديث عبد الحميد الدخايني، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٦١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي وخرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرازق غالب ط: دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٦٢. نكت القرآن الدالة علي البيان في أنواع العلوم والأحكام للإمام الحافظ محمد بن علي الكرجي القصاب، تحقيق الدكتور علي بن غازي التويجري، ط: دار ابن القيم، الرياض، ط ٢، ١٤٢٩ هـ.
٦٣. التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي، مصدر الكتاب: موقع